آيات إقراء القرآن وتلاوته

جمعاً ودراسة

د . عبد العزيز بن محمد السحيباني

- عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم - دراسة موضوعية) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (فتح المنان بتفسير القرآن للحسن بن أحمد عاكش الضمدي ، من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الرعد) .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فإن الله عز وجل مدح نفسه بما أنعم على عباده من النعم، وخص نعمة تعليم القرآن بالتشريف، وقدمها على نعمة الخلق، فقال تبارك وتعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الرحمن: ١ – ٣ . وما ذاك إلا لعظم شأن تعليم القرآن وإقرائه، وذلك، لعظم المعلوم المقروء، وعلو منزلته . وكيف لا يتبوأ القرآن هذه المنزلة، وهو كلامه عز وجل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .

ولهذا اشتمل القرآن على آيات كثيرة، دالة على فضل وأهمية تلاوته وإقرائه، فلاحت لي فكرة جمع هذه الآيات ودراستها دراسة موضوعية تحليلية، وبفضل الله سرعان ما تحولت هذه الفكرة إلى مشروع بحث قرآني، واضح المعالم والأهداف؛ فعزمت على الشروع فيه، وجعلت عنوانه هو: **آيات إقراء القرآن وتلاوته، جمعا ودراسة.**

أهمية البحث وأسباب اختياره :

- أهمية البحث ظاهرة من موضوعه وعنوانه؛ لأنه يتناول دستور الأمة وسبب سعادتها في الدنيا والآخرة.

- كما أن هذا الموضوع يسهم في علاج ما تعانيه الأمة المسلمة من قصور في تلقيها للقرآن وكيفية التعامل معه .

أهداف الموضوع :

- بيان عناية القرآن بموضوع تلاوة القرآن وإقرائه، وأسباب تحقيق ذلك .

- بيان المنهج الصحيح في إقراء القرآن وتعليمه والركائز التي يقوم عليها. خصوصا مع انتشار حلق القرآن وإقبال الناس على تعلمه وتعليمه .

- تصحيح المفاهيم الخاطئة في أوساط المسلمين حول معنى تلاوة القرآن والغرض منها .

الدراسات السابقة :

لم أقف على بحث مقارب عني بجمع ودراسة آيات إقراء القرآن وتلاوته وما يتعلق بها .

خطة البحث :

وتتألف من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، على النحو التالي :

التمهيد.

وفيه مبحثان :

الأول: نعمة القرآن والغاية من إنزاله

الثاني:فضل تعلم القرآن وتعليمه

الفصل الأول : آيات إقراء القرآن وتعليمه وفقهها.

وفيه مدخل، وخمسة مباحث :

المبحث الأول : إقراء القرآن لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مرادفات الإقراء في القرآن

المبحث الثالث : الوظائف الرئيسة المنوطة بمقرئ القرآن

المبحث الرابع : أصول الإقراء في القرآن " العرض والسماع "

المبحث الخامس : وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ

الفصل الثاني : آيات التلاوة والقراءة وفقهها.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التلاوة والقراءة والفرق بينهما عند أهل اللغة

المبحث الثاني : آيات التلاوة وفقهها

المبحث الثالث : التخلق بالقرآن

المبحث الرابع : آيات القراءة وفقهها

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

- سلوك المنهج الاستقرائي التحليلي في دراسة الآيات، مع الحرص على تصنيف الآيات بما يعين على وضوح المراد.
- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
- عزو القراءات القرآنية في الهامش وتوثيقها من مصادرها الأصلية .
- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث مع الحرص على بيان درجة الحديث .
- سلوك المنهج العلمي في توثيق النصوص بعزوها لقائليها من كتبهم مباشرة، إلا مع تعذر الأصل .
- شرح غريب الألفاظ من المعاجم اللغوية وكتب غريب القرآن.

التمهيد

وفيه مبحثان:

الأول: نعمة القرآن والغاية من إنزاله

الثاني:فضل تعلم القرآن وتعليمه

المبحث الأول
نعمة القرآن والغاية من إنزاله

كانت البشرية قبيل بعثة النبي - ﷺ - في ضلال مبين كما بين القرآن، وانحدرت إلى أدنى دركات الانحطاط في شتى مجالات الحياة، وانطمست معالم الدين الحق، وانطفأت أنوار النبوات، وانحسر المعروف، وساد المنكر، وظهر الفساد في البر والبحر، فكان نزول القرآن على النبي محمد - ﷺ - أعظم نعمة امتن الله بها على أهل الأرض .

قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ آل عمران: ١٦٤.

وقال تعالى في الحديث القدسي: (**خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان**) الحديث أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه[1].

وقوله تعالى: (**لا يغسله الماء**): أي أنه محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان، وأما قوله تعالى: (**تقرؤه نائما ويقظان**): فمعناه أنه يكون محفوظا لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرؤه في يسر وسهولة[2].

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٧ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار- حديث ٢٨٦٥ .

(٢) انظر غريب الحديث للخطابي ١/ ٣٤٩ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ١٩٨ .

ولما كان القرآن بهده المثابة كان من يؤتى هذه النعمة هو المغبوط حقا.

أخرج البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار**) الحديث [1].

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – ﷺ – قال: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**) الحديث [2]. والمراد بالقيام به العمل به تلاوة وطاعة [3].

الغاية من إنزاله:

إن الغاية من إنزال القرآن هي أن يكون كتاب هداية، ومنهج حياة، ومنقذا من الضلالة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ** ﴾ النحل: ٦٤ .

وصيغة القصر في الآية لقصد الإحاطة بالأهم من غاية القرآن وفائدته التي أنزل لأجلها، أي: وما أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن إلا لغايات سامية ومقاصد عظيمة هي تبيين الحق للناس فيما كان موضع اختلافهم من التوحيد والقدر وأحكام الأفعال وأحوال المعاد، فالقرآن لا يترك للباطل مسلكا إلى

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٩ – باب اغتباط صاحب القرآن – حديث رقم ٤٧٣٨ .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٥٨ – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه – حديث رقم ٨١٥ . المراد بالحسد هنا الغبطة، قال النووي: " الغبطة هو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما" . شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٩٧ . ويؤيد أن المراد بالحسد الغبطة ما جاء في بعض طرق هذا الحديث عند البخاري، فقال فيه: (**ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**) . انظر عمدة القاري ٢/ ٥٧ .

(٣) انظر فتح الباري ٩/ ٧٣ .

النفوس، وهو مفصح عن الهدى إفصاحا لا يترك للحيرة مجالا في العقول، وهو هداية تامة ورحمة عامة، الناس محتاجون إليها ومضطرون لها أشد الاضطرار [(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ .

قال السعدي في تفسيرها: " ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ : وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيه، فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه" [(٢)].

ولما كانت حاجة الناس إلى هذا الذكر بهذا القدر أتم الله النعمة بأن تكفل بحفظه من التبديل والتحريف والتغيير والزيادة والنقصان .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ، والضمير في قوله: لَهُۥ عائد على الذكر، على الصحيح في تفسير هذه الآية [(٣)].

وهذا الحفظ المذكور في الآية له وجوه عديدة شاملة للفظه ومعناه في جميع الأحوال .

قال الإمام السعدي: " ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ : أي في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم ولا يسلط عدوا يجتاحهم" [(٤)].

(١) انظر تفسير السعدي ص ٤٤٣ ، والتحرير والتنوير ١٤/ ٢٣٦٣ .
(٢) تفسير السعدي ص ٤٤١ .
(٣) انظر أضواء البيان ٢/ ٢٥٥ .
(٤) تفسير السعدي ص ٤٢٩ .

ومن أدلة حفظه: قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤١ – ٤٢[١].

قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه[٢].

وقال الزجاج:" في تفسيرها وجهان أحدهما: أن الكتب التي تقدمت لا تبطله، ولا يأتي بعده كتاب يبطله، والوجه الثاني: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل على هذا قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾"[٣]، وكلا القولين من معاني الحفظ، فلا إشكال.

ومعنى قوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ أي منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء، ولهذا أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقصان، فهو محفوظ في تنزيله محفوظ في ألفاظه ومعانيه[٤].

ومن أدلة حفظه أيضا: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٧ .

وقد نقل الإمام الزركشي الإجماع على أن المراد بهذه الآية هو حفظ الله للقرآن، فقال عند إيراده لها: "وأجمعت الأمة أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به، وحراسته من وجوه الغلط والتخليط"[٥].

ومن تمام النعمة – أيضا – إضافة إلى حفظه– أي الذكر– أن يسره الله للناس .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٥٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٥ ، تفسير البغوي ٤/ ١١٦ ، والدر المنثور ٧/ ٣٣٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٨٨ .

(٤) انظر تفسير السعدي ص ٧٥٠ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٢٧ .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٧،٢٢،٣٢،٤٠ .

أي سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده والانتفاع به؛ لأنه أحسن الكلام لفظا وأصدقه معنى وأبينه تفسيرا، وهذه الآية يفسرها قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص: ٢٩ ، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ مريم: ٩٧، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الدخان: ٥٨ (١).

وقال مجاهد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ يعني هونا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن (٢).

وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن (٣). يعني عن ظهر قلب .

وقال الضحاك عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل (٤).

وقال القرطبي :" ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله؛ ليتدبروه وليعتبروا به وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته وأداء حقوقه وفرائضه لضعفت ولاندكت بثقله أو لتضعضعت له، وأنى تطيقه، وهو يقول تعالى جده وقوله الحق: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١ ، فأين قوة القلوب من قوة الجبال، ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة" (٥).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥، وتفسير السعدي ص٨٢٤ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٤/ ١٨٤٤ ، وتفسير الطبري ٢٧/ ٩٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥ .

(٣) انظر الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥ .

(٥) تفسير القرطبي ١/ ٤ .

" والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام وأحكام الأمر والنهي وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر والعقائد النافعة والأخبار الصادقة ولهذا كان علم القرآن حفظا وتفسيرا أسهل العلوم وأجلها على الإطلاق وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه" [١].

قال قتادة في قول الله: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، قال: هل من طالب خير يعان عليه [٢].

وهذا اليسر المذكور في الآية حاصل في القرآن من وجوه متعددة في مبانيه ومعانيه وحروفه ولغته والمتلقين له [٣].

فأما المباني فلكونها في أعلى درجات الفصاحة؛ في ألفاظها وتراكيبها، وكذا انتظام مجموعها بحيث يخف حفظها وأداؤها على الألسنة .

وأما اليسر في معانيه فحاصل بوضوح انتزاعها من التراكيب ووفرة ما تحتوي عليه تلك التراكيب من مقاصد سيقت لغرض معين، وبتولد معان من معان أخر كلما كرر المتدبر تدبره في فهمه .

ووسائل تحقيق يسر معانيه لا يحيط بها الوصف، ومن أهمها: إيجاز اللفظ لأجل سرعة تعلقه بالحفظ. ومنها إجمال المدلولات لتذهب نفوس السامعين في انتزاع المعاني منها كل مذهب يسمح به اللفظ والغرض والمقام .ومنها الإطناب بالبيان إذا كان في المعاني بعض الدقة والخفاء .

وأما اليسر في حروفه؛ فإن القرآن أنزل على سبعة أحرف تيسيرا لتلاوته.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: **(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه)** متفق عليه[٤].

---

(١) تفسير السعدي ص٨٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ٩٧ .

(٣) هذه الوجوه مستفادة من تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٥ ، وتفسير السعدي ص٨٢٤ ، والتحرير والتنوير ٢٧/ ٤٢٢٦ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٩٠٩– باب أنزل القرآن على سبعة أحرف - حديث رقم ٤٧٠٦، وصحيح مسلم ١/ ٥٦٠ - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه- حديث رقم ٨١٨ .

وعن أبي بن كعب أن النبي – ﷺ – كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرف، **فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا**) رواه مسلم [1].

وأما اليسر في لغته فقد جاء تأليف نظم القرآن بلغة هي أفصح لغات البشر، وأسمحها ألفاظا وتراكيب، وأغزرها معان ودلالات. فهذا القرآن خيار من خيار من خيار، كما قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥ .

وأخيرا فإن من كمال هذا اليسر أن الله جعل المتلقين لهذا القرآن أمة هي أذكى الأمم عقولا وأسرعها أفهاما وأشدها وعيا لما تسمعه وأطولها تذكرا له، دون نسيان، وأفرادها على تفاوتهم في هذه الخلال إذا اجتمع أصحاب الأفهام منهم على مدارسة القرآن وتدبره بدت لمجموعهم معان لا يحصيها الواحد منهم وحده .

ولذا فقد مدح الله كتابه ومجده وعظمه؛ لما فيه من الكمالات، فقال عز شأنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥ .

يقول السعدي عند تفسيره لهذه الآيات:" وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم: فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها وهو اللسان العربي المبين" [2].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٦٢ –باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه– حديث رقم ٨٢١ .

(٢) تفسير السعدي ص ٥٩٨ .

المبحث الثاني
فضل تعلم القرآن وتعليمه

الأصل في هذا المبحث من القرآن آيات عدة:

منها قول الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١ .

وقوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ .

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢ .

فهذه الآيات الثلاث سيقت على سبيل الامتنان وتعداد النعم، ولهذا عقب على الآية الأولى بقوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢ ، وصُدِّرت الآية الثانية بقوله: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والثالثة بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ على سبيل الامتنان، فبعثة الرسول - ﷺ - لنا نعمة، وتلاوته الآيات علينا نعمة، وتزكيته إيانا نعمة، وتعليمنا الكتاب والحكمة نعمة، فهذه هي أصول النعم على الإطلاق، وهي أكبر نعم ينعم الله بها على عباده [1].

ودلت هذه الآيات على عظيم فضل تعليم القرآن، وكيف لا يكون كذلك وهو وظيفة سيد الخلق أجمعين .

---

(١) انظر تفسير السعدي ١/ ٧٤ .

ومن الأدلة من القرآن أيضا: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩ [١].

وسيأتي الحديث عن هذه الآية مفصلا في الفصل القادم ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى الشاهد من الآية، وهو قوله: ﴿رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ ، والمراد بهم سادات الناس من العلماء الذين انتصبوا لتعليم الناس القرآن والحكمة، وهذا الوصف لا يتحقق إلا لمن قامت فيه صفتان؛ الأولى: التعليم المشار إليها بقوله: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ ، والصفة الثانية: القراءة والمقارأة المشار إليها بقوله: چژچ، ومعناه تقرؤون وتحفظون .

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩ [٢].

فمدح الله القراء العاملين بما يحملون من قرآن . قال قتادة: "كان مطرف بن عبد الله – رحمه الله – إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء" [٣]. وقال القرطبي: "هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة؛ الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق" [٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ البقرة: ٢٦٩ .

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالحكمة في الآية هو القرآن واستظهاره والفقه فيه.

(١) انظر فضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب ص٣ .
(٢) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١١ .
(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٥ .
(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٥ .

فعن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وقتادة أن المراد بالحكمة هنا الفقه في القرآن، وعن أبي الدرداء أنه فسرها بـ "قراءة القرآن والفكرة فيه"، وفسرها كل من مقاتل بن حيان وقتادة والحسين ابن واقد بأنها استظهار القرآن، أي حفظه وقراءته عن ظهر قلب [١]. وقال مقاتل بن سليمان في تفسيرها: "يقول ومن يعط الحكمة وهي علم القرآن والفقه فيه" [٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣ .

قال السعدي عند تفسيرها: "وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل؛ فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم؛ حيث أمر بسؤالهم، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم والاتصاف بصفات الكمال" [٣].

ومنها قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: ١- ٤ .

فقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان؛ لأن نعمة الدين مقدمة على سائر النعم؛ مما يدل على شرف تعليم القرآن وأهميته [٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ المجادلة: ١١ [٥].

وأما الأحاديث، فمنها حديث عثمان – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) رواه البخاري [٦].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٨٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٣٣ ، والدر المنثور ٢/ ٦٦ .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٤٦ .

(٣) تفسير السعدي ص٤٤١ .

(٤) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٤٢٤٢ .

(٥) انظر فضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب ص٣ .

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٩ –باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه– حديث رقم ٤٧٣٩ .

وكفى بهذا الحديث دليلا، فقد حاز معلم القرآن به الخيرية المطلقة .

ومنها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**) رواه مسلم [(١)] .

ومنها: حديث عقبة بن عامر قال خرج رسول الله - ﷺ - ونحن في الصفة، فقال: (**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق**[(٢)] **فيأتي منه بناقتين كَومَاوَين** [(٣)] **في غير إثم ولا قطع رحم**)، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: (**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**) [(٤)] .

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر- حديث رقم ٢٦٩٩ .

(٢) بُطْحان والعَقيق واديان بالمدينة. انظر أخبار المدينة لعمر بن شبة ص١٠٧ .

(٣) الناقة الكَوْمَاء : بفتح الكاف عظيمة السنام عاليته. انظر النهاية لابن الأثير ٤/ ٢١١ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٨٩ .

(٤) صحيح مسلم ١/ ٥٥٢ - باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه- حديث رقم ٨٠٣ . وانظر أخلاق حملة القرآن للآجري ص٢٠ .

الفصل الأول
آيات إقراء القرآن وتعليمه وفقهها

وفيه مدخل، وخمسة مباحث :

مدخل

أهمية إقراء القرآن وتعليمه

يكتسب إقراء القرآن وتعليمه أهميته ومنزلته من موضوعه الذي يتعلق به، وبقدر قيمة هذا العلم وشرفه والحاجة إليه يكون إقراؤه وتعليمه .

ولما كان القرآن هو أشرف معلوم على الإطلاق، والخلق مضطرون إليه أشد الاضطرار كان إقراؤه وتعليمه والاشتغال به أشرف الأعمال وأزكاها وأرجاها ثمرة وأعظمها أجرا، لذا قال ﷺ :(**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) [1].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: (**يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**) . قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب [2].

"والجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣، والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع" [3].

ولا غرو؛ فالقرآن حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٥٧ .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٩١٩ –باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه– حديث رقم ٤٧٣٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٨٤ – كتاب فضائل القرآن – حديث رقم ٢٩٢٦ . قال ابن حجر في الفتح ٩/ ٦٦ : "رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف، وقد بين العسكري أنه من قول أبي عبد الرحمن السلمي، وقال البخاري في خلق أفعال العباد: وقال أبو عبد الرحمن السلمي، فذكره، وأشار في خلق أفعال العباد إلى أنه لا يصح مرفوعا" انتهى باختصار .

(٣) فتح الباري ٩/ ٧٦ .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء: ٨٢ .

قال قتادة: "لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان" [(١)].

وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩ .

وهو الفرقان بين الشك واليقين، والحق والباطل، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ .

وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ .

وهو الغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكنف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ الحجر: ٨٧ – ٨٨ ، قال ابن كثير : " أي استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية " [(٢)].

تلاوته لذة وقربة، وترتيله علو وارتقاء، وتعليمه رحمة وسكينة، ومدارسته شرف وذكر في الملأ الأعلى، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه [(٣)].

---

(١) انظر أخلاق حملة القرآن لأبي بكر الآجري ص ٧٣، والدر المنثور ٥/ ٣٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٨ . وانظر تفسير القرطبي ١٠/ ٥٦ .

(٣) ما تقدم من وصف للقرآن، جله مقتبس من حديث رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٥ عن معاذ بن جبل، ثم قال:" وهو حديث حسن جدا، ولكن ليس له إسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا "اهـ ، وانظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٦٩ .

المبحث الأول
إقراء القرآن لغة واصطلاحا

إقراء القرآن مركب إضافي مكون من كلمتين : إقراء، والقرآن، وهو من باب إضافة المصدر إلى مفعوله.

أما القرآن، فيأتي بمعنى المفعول، ويراد به نفس الكلام المقروء، أي القرآن كعَلَمٍ على كتاب الله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ الأعراف: ٢٠، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩، وقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١ ، ونظائره كثيرة [1].

ويأتي بمعنى المصدر، أي القراءة، وهذا هو الأصل فيه، مثل كفران وغفران، يقال: قرأ القرآن يقرؤه قراءة وقرآنا، أي تلاه تلاوة،،ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ الإسراء: ٧٨ ، أي قراءته، وقوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٧ – ١٨.

والقراءة : مصدر قرأ يقرأ،واسم الفاعل : قارِئ ، ويجمع على قَرَأَة وقُرَّاءٍ، وهما جَمعا تكسير، وعلى قَارِئِينَ، وهو جمع مذكر سالم، وأما قَارَأَهُ مُقَارَأَةً وقِرَاءً، فمعناه: دَارَسَه، واسْتَقْرَأَه طَلَب إِليه أَن يَقْرأَ، والقَرَّاءُ على وزن فَعَّال هو الحَسَنُ القِرَاءَة، وجمعه قَرَّاؤونَ ولا يُجْع جَمْعَ تكسيرٍ، والقُرَّاءُ على وزن فُعَّال هو الناسِك المُتَعَبِّد، ويقال قرأْتُ أَي صِرْتُ قارِئاً نَاسِكا [2].

---

(١) انظر لسان العرب ١/ ١٢٨ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/ ١٩٨ . وقد تكرر لفظ القرآن في القرآن سبعين مرة، وهذا اللفظ كعلم هو الغالب في القرآن، ولم يأت لفظ القرآن بمعنى المصدر، أي القراءة إلا في خمسة مواضع من القرآن في أربع آيات: الآية: ٧٨ من سورة الإسراء، والآية: ١١٤ من سورة طه، والآيتان: ١٧، ١٨، من سورة القيامة، وسيأتي بيانها في ثنايا البحث .

(٢) انظر المفردات للراغب ص ٤٠٢، ولسان العرب ١/ ١٢٩ ، وتاج العروس ١/ ٣٦٥ .

وأصل القراءة عند أهل اللغة على قولين :

الأول : أن أصلها الجمع والضم، أي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل [١] .

والثاني : أن القراءة أصلها هو الإظهار والبيان، وهذا القول محكي عن قطرب [٢] .

وسبب الخلاف في أصل هذا الحرف أن طائفة من العلماء لم يفرقوا بين قرأ المهموز، وقرى غير المهموز؛ فالذي بمعنى الجمع هو قرى غير المهموز، ومنه القرية؛ لاجتماع الناس بها، ويقال: قريت الضيف أقريه أي جمعته وضممته إليك، وقريت الماء في الحوض جمعته، ومنه استقرى الشيء أي تتبعه وجمعه.

وأما قرأ المهموز، فمشتق من الظهور والخروج والبيان، ومنه قولهم: ما قرأت الناقة سلا جزور قط، أي ما أظهرته، وأخرجته من رحمها، والقارئ هو الذي يظهر القرآن ويخرجه مقدارا محدودا، لا يزيد ولا ينقص ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ ، ففرق بين الجمع والقرآن، ولهذا فسر ابن عباس – رضي الله عنهما – في هذه الآية – في إحدى الروايتين عنه – القراءة بالبيان، فقال :﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أي : بيناه، ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ : اعمل به" [٣] . ومن هذا الباب قولهم : قرأت المرأة أي حاضت، والمراد خروج دم الحيض وظهوره [٤] .

وهذا القول هو الأرجح فيما يظهر، ورجحه عدد من المحققين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية [٥]، وابن القيم [٦]، والشنقيطي [٧] .

---

(١) انظر المفردات للراغب ص ٤٠٢، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٥٢ ، ولسان العرب ١/ ١٢٨ ، وتاج العروس ١/ ٣٦٤ .

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن ١/ ٣٠٥ ، والسيوطي في الإتقان ١/ ١٤٤ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٧٦ – باب قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٨.

(٤) أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٧٨ ، وابن القيم في زاد المعاد ٥/ ٦٣٥ .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٧٨ .

(٦) زاد المعاد ٥/ ٦٣٥ .

(٧) أضواء البيان ٦/ ٣٢٥ .

وإذا كانت معاني الظهور والبيان ألصق بمعنى القراءة؛ فهذا لا يعني استبعاد معنى الجمع ؛ لأن القارئ عند القراءة يلفظ بالحروف والكلمات مجموعة ومتصلة . قال الزجاج:" قولك قرأت القرآن أي لفظت به مجموعا" [1].

وخلاصة القول: أن القرآن في اللغة مصدر قرأ، ويأتي بمعنى القراءة أحيانا وبمعنى المفعول - وهو الغالب - أي الكلام المقروء ، وسمي قرآنا؛ لأن القارئ يخرج القرآن من فيه ويظهره ويبينه.

وأما أقرأ فمعناه حمل غيره أن يقرأ عليه، يقال: أَقْرَأْتُه أَنا وأَقْرَأَ غيرَه يُقْرِئه إِقراءً ، ومنه: فُلانٌ الْمُقْرِئ ، وإِذا قَرأَ الرّجُلُ القُرآنَ على الشيْخِ يقول أَقْرَأَنِي فُلانٌ ، أَي حَمَلَني على أَنْ أَقْرَأَ عليه [2].

قال البخاري: "ويقرأ على المقرئ فيقول القارئ أقرأني فلان" [3].

وعليه فيكون إقراء القرآن اصطلاحا هو: **أن يحمل الشيخ تلميذه على أن يقرأ عليه القرآن؛ ليسمع قراءته؛ ليقومها، أو يجيزه عليها .**

(١) معاني القرآن ١/ ٣٠٥ .

(٢) انظر لسان العرب ١/ ١٣٠ ، وتاج العروس ١/ ٣٦٦ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٤ .

المبحث الثاني
مرادفات الإقراء في القرآن

المتأمل في الآيات التي تناولت إقراء القرآن يجد أنها جاءت بألفاظ متعددة تعود في جملتها إلى خمس كلمات أو أفعال، هي: **أقرأ، علَّم، درَّس، ربَّى، زكَّى** .

وحيث بينت في المبحث السابق معنى :" أقرأ "، وأصلها في اللغة، فلعل من المناسب هنا أن أقف عند بقية الكلمات المرادفة لها في القرآن؛ ليتبين ما بينها من ترادف وفروق .

١- علَّم :

التعليم : تفعيل من العلم، وهو نقيض الجهل، وقد وَقَع خِلافٌ طَويلٌ في تعريفه حتى ذهب جماعةٌ من العلماء إلى أَنّهُ لا يُحَدُّ لِظُهورِه وكَونِه من الضَّرورِيَّاتِ [١].

ولكن الباقلاني عرَّفه بأنه:" معرفة المعلوم على ما هو به" [٢].

وقال الراغب: "العلم إدراك الشيء بحقيقته" [٣].

وذكر ابن فارس أن العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره، ومن ذلك العلامة، والجبل، وتعلَّمْتُ الشيء إذا أخذت علمَه [٤].

ويكون متعديا ولازما، يقال: علِمَ علما وعَلُمَ هو نفْسُه،والمتعدي يكون إلى مفعول واحد، ويراد منه إدراك ذات الشيء، كما ذكر الراغب، نحو قوله

---

(١) انظر تاج العروس للزبيدي ٣٣/ ١٢٦ .

(٢) تمهيد الأوائل صفحة ٢٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٣ .

(٤) انظر معجم المقاييس لابن فارس ٤/ ١٠٩ . قال ابن القيم في بدائع الفوائد ٢/ ٢٩٥ : " أصل وضع عرف لتمييز الشيء وتعيينه حتى يظهر للذهن منفردا عن غيره، وهذه المادة تقتضي العلو والظهور كعرف الشيء وهو أعلاه "اهـ بتصرف يسير .

تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠، ويكون إلى مفعولين، ويراد منه العلم بأحوال الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ الممتحنة: ١٠ [١].

والعِلْم ليس هو المعرفة، بل بينهما فروق من وُجُوه؛ لَفظًا ومَعْنًى، أما اللَّفْظُ ففِعلُ المَعْرِفَة يَقَعُ على مَفْعولٍ واحِدٍ وفِعْلُ العِلْم يقْتَضِي مَفْعولَيْنِ وإذا وَقَعَ على مَفْعولٍ كان بِمَعْنَى المعْرِفَة. وأمَّا من جِهَة المَعْنى فمِنْ وُجوهٍ؛ منها أنَّ المعْرِفَةَ تَتَعَلَّقُ بذاتِ الشَّيء والعِلْمُ يَتَعَلَّقُ بأحوالِه، ومنها أنَّ المعرِفَةَ في الغالبِ تكونُ لِما غَابَ عن القَلْبِ بَعْدَ إدْراكِه، فإذا أدركَه قيل عَرَفه بِخِلافِ العِلْم، فالمعْرِفَةُ حُضورُ ما كان غائِبًا عن الذَّاكِرِ، ولهذا كان ضِدُّها الإنْكارَ وضِدُّ العِلْم الجَهْلَ، ومنها أنَّ المعْرِفَةَ عِلْمٌ لعَيْنِ الشَّيءِ مُفَصَّلاً عمَّا سِواهُ بخِلاف العِلْمِ فإنَّه قَدَ يَتعلَّقُ بالشَّيءِ مُجْمَلاً [٢].

والمُعلِّم اسم فاعل من عَلَّم يُعلِّم، والمصدر هو التعليم، أي جعله ذا علم، مثل أدبه جعله ذا أدب [٣]. وقال الراغب:"قال بعضهم: التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني" [٤].

وأعلمته وعَلَّمْتُه في الأصل واحد،وقيل: لا يُسْتَعْمَلُ تَعَلَّمْ بِمَعْنَى اعْلَمْ إلاّ في الأمْرِ، ومِنْهُ حَدِيثُ الدَّجَّال (**تَعَلَّمُوا أنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**) [٥][٦].

---

(١) انظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٤٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ٤١٧،ومدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٣٣٥، وتاج العروس ٣٣/ ١٢٨ .

(٢) انظر تاج العروس للزبيدي ٣٣/ ١٢٧ .قال ابن القيم في مدارج السالكين ٢/ ٤٧٢ : " والفرق بين العلم وبين المعرفة من وجوه ثلاثة أحدها أن المعرفة لب العلم ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان، وهي علم خاص متعلقها أخفى من متعلق العلم وأدق، والثاني أن المعرفة هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه فهي علم تتصل به الرعاية، والثالث أن المعرفة شاهد لنفسها وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن صاحبها أن يشك فيها ولا ينتقل عنها"اهـ .

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٤١٠ .

(٤) المفردات ص ٣٤٣ .

(٥) ذكره ابن الأثير في غريب الأثر ٣/ ٥٦٠ ، ولم أقف عليه في كتب السنة بهذا اللفظ.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٣، والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٤٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ٤١٧، وتاج العروس ٣٣/ ١٢٨ .

وفرق الراغب بينهما فذكر أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم [١].

مما تقدم أخلص في تعريف التعليم لغة إلى أنه: جعل المتعلم ذا علم، وذلك بتنبيه النفس مرارا لتصور المعاني حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم .

وإذا قارنا الفعل: "علَّم" بالفعل: " أقرأ " نجد أن بينهما ترادفا؛ لأن علَّمه معناه ترك فيه أثرا هو التعلم، كما أن أقرأه معناه حمله أن يقرأ عليه؛ كي يعلمه القراءة، فالتعليم يتضمن الإقراء، وكذلك العكس: الإقراء يتضمن التعليم، فالترادف بينهما من باب التضمن لا المطابقة . والفرق بين التعليم والإقراء: أن الأول أعم لشموله الإقراء وغيره، وأما الإقراء فهو مقصور على تعلم القراءة فحسب .

٢-درَّس:

درَّس على وزن فعَّل، والتفعيل هنا للتكرار، ومادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يُعمل . ويأتي لازما ومتعديا، يقال: دَرَسَ الشيْءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً عَفَا، ودَرَسَتْهُ الرِّيحُ دَرْساً مَحَتْه إذا تَكَرَّرَتْ عليه فعَفَّتْه، ودَرَسَ الثَّوبُ دَرْساً أي خَلَقَ، ودَرَسَ الثَّوْبَ يَدْرُسُه دَرْساً أَخْلَقَه، وطَرِيقٌ مَدْرُوسٌ كَثُرَ طارِقوه حتَّى ذَلَّلوه، ودَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُه ويَدْرِسُه دَرْساً ودِرَاسَةً ودِرَاساً، أي قَرَأَه والمراد كَرَّرَ قِرَاءَتَه باللِّسَان، فذَلَّلَه بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليه، ومن ذلِكَ أن يقال أيضا: دارَسَهُ، كأَنَّه عالجه حَتّى انْقَادَ لحِفْظِهِ، والمُدَرِّسُ الكَثِيرُ الدَّرْسِ أَي التِّلاَوَة بالكِتَابة والمُكَرِّر له، ويسمى - أيضا - المُقَارِئُ، وهو الذي قَرَأَ الكُتُبَ، والمُدَارَسَةُ والدِّرَاسَةُ القِرَاءَةُ، ودارَسْتُ الكُتُبَ وتَدَارَسْتُهَا وادَّارَسْتُهَا أَي دَرَسْتُها، وتَدَارَسَ القرْآنَ قرأَه وتَعَهَّدَهُ لِئلاَّ يَنْسَاهُ، وأَصْل المُدَارَسَةِ الرِّيَاضةُ والتعهُّدُ للشّيْءِ، ومادة

---

(١) المفردات ص ٣٤٣ .

"درس" تستلزم التمكن من المفعول فلذلك صار قولنا: " دَرَسَ الكتابَ " مجازا في فهمه وإتقانه [1].

وعند مقارنة هذا اللفظ بلفظ الإقراء نلحظ أن بينهما ترادفا من حيث إن التدريس -كالتعليم – أعم من الإقراء . كما أن الإقراء أخص؛ فهو من لوازم تعليم القرآن .

بيد أن الترادف بين التعليم والتدريس أظهر؛ فقد تقدم أن التعليم في اللغة : هو تنبيه النفس مرارا لتصور المعاني حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم، فهو تكرار للعلم في نفس المتلقي كي يبقى أثره في نفسه، وكذلك التدريس؛ لأن "درس" في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يعمل كما تقدم .

لكن هناك فرق لغوي بين التعليم والتدريس، وهو أن التعليم نقل العلم إلى المتعلم، وأما التدريس فلا يقف عند نقل العلم بل يتعداه إلى النظر والتدبر في هذا العلم كي يتولد منه علم آخر من خلال البحث والاستنباط .

والحاصل أن تدريس القرآن وإقراءه لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ فالمدارسة تتضمن الإقراء، كما أن من لوازم الإقراء المدارسة، كما سيأتي بيانه في المبحث القادم .

٣- ربَّى:

الأصل في كلمة: "رب" يعود إلى إصلاح الشيء وتنميته شيئا فشيئا[2]، قال الراغب: "الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال رَبَّهُ ورَبَّاهُ ورَبَّبَهُ" اهـ[3]، وقال الأصمعي: " رَبَوْت في بني فلان أَرْبُو إذا نَبَتّ فيهم ونَشأت، ورَبَّيْت فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيةً وتَرَبَّيْته ورَبَبْته ورَبَّيته بمعنًى واحد" [4].

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٧، وتاج العروس للزبيدي ١٦/ ٦٤-٧١ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٧٧٧ .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٨١ .

(٣) المفردات ص ١٨٤.

(٤) نقلا عن تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ١٩٨ .

إذاً فهذا اللفظ – أيضا – أقرب في معناه إلى لفظ التعليم؛ فالتربية تقوم على معنيين: الإنشاء والتدرج، وهما موجودان في التعليم، وهذا وجه الترادف، ولذا صارت التربية شق التعليم، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فإذا كان التعليم هو أس التربية، فالتربية – أيضا – هي ثمرة التعليم ،وإذا كان التعليم يُعنى بالجانب النظري المعرفي في النفس، فالتربية تُعنى بالجانب العملي السلوكي، فالتربية والتعليم من الألفاظ المشتركة، يشتركان في المعنى عند الافتراق، وعند الاجتماع يتمايزان، كالإسلام والإيمان، والفقير والمسكين، والبر والتقوى، ونحوها، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا .

والخلاصة أنه إذا كان الإقراء لا ينفك عن التعليم؛ فهو – أيضا – لا ينفك عن التربية .

٤- زكّى:

هذا الفعل مشتق من الزكاء، وهو الزيادة، وكلُّ شيءٍ يَزْدَادُ ويسمَنُ فهو يَزْكُو زَكاءً، قال الخليل: "زكا الزرع يزكو زكاء ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زكاء" اهـ[1]، وقال ابن فارس: "الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة" اهـ [2].

وزكّى الرجل نفسه إذا وصفها وأثنى عليها، وزكى الرجل ماله بالتشديد تزكية أخرج زكاته، فالزكاة اسم منه، وهي في الأصل زكوة على وزن فَعلة كالصدقة، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا، والزكاة تأتي بمعنى الصلاح والإصلاح، يقال: زَكا الرَّجُلُ يَزْكُو زكواً: صَلُحَ، وبه فُسِّر قوْلُه تعالى: ﴿ مَازَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ النور: ٢١ ، أَي ما صَلُحَ ، وقوله : ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ الكهف: ٨١ ، أي صلاحا، وقوله عز وجل: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ﴾ مريم: ١٣ ، أي: صلاحا، وتأتي بمعنى التطهير، وزكاة المال هو تطهيره، يقال: زكّى يزكي

(١) العين للخليل بن أحمد ٥/ ٣٩٤ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٧ .

تزكية [1]. وهي من الأسماء المشتركة، فتطلق على القدر المخرج من المال المزكى بها، وتطلق على المصدر، وهو التزكية، وتسمية القدر المُخْرَجِ مِن المالِ زَكاةً؛ لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء [2].

والقول بأن الزكاة تطهير وإصلاح لا يعارض أصل معناها وهو النماء؛ لأن النفوس -في أصل خلقها- فيها كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فتهذيب النفوس وتقويمها وتطهيرها وإرشادها إلى الصلاح والكمال يزيدها من ذلك الخير المودع في الفطرة وينميه [3]، قال ابن القيم:" الزكاة في اللغة : هي النماء والزيادة في الصلاح وكمال الشيء يقال : زكا الشيء إذا نما، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبة: ١٠٣، فجمع بين الأمرين : الطهارة والزكاة؛ لتلازمهما، فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، والقلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير؛ فاستراح من تلك الجواذب وزكا ونما وقوي واشتد"اهـ باختصار [4].

إذاً فالتزكية : هي تطهير النفس من الرذائل؛ لتنمية الصلاح فيها وزيادته؛ للوصول بها إلى الكمال. وهي بهذا الوصف شبيهة بالتقوى، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ النجم: ٣٢، فدلت الآية على أن الزكاة هي التقوى، والتقوى تنتظم الأمرين جميعا؛ تطهير النفس من الرذائل، وهو ترك السيئات، وتنمية الصلاح فيها، وهو فعل الحسنات، كما أن إرادة الحسنات وفعلها مستلزم للبعد عن السيئات [5].

وبعد هذا البيان لمعنى التزكية في اللغة، فهل بينها وبين الإقراء من ترادف ؟

---

(١) انظر العين ٥/ ٣٩٤، وتهذيب اللغة للأزهري١٠/ ١٧٥، وتاج العروس ٣٨/ ٢٢٠ .

(٢) انظر المصباح المنير ١/ ٢٥٤، ولسان العرب ١٤/ ٣٥٨ .

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٤٥٤ .

(٤) إغاثة اللهفان ١/ ٤٧ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ٣٩١ .

أما من حيث اللغة فليس بينهما شيء من ذلك على ما يظهر. لكن هناك نوع ترادف من حيث إن التزكية تعد من لوازم الإقراء بمعناه الاصطلاحي كما سيأتي قريبا .

لكن من المفيد الإشارة إلى أن هناك ترادفا من حيث الجملة بين التزكية والتعليم، وهذا يتبين بالنظر في معنى اللفظين:

فالتعليم في اللغة كما تقدم : هو جعل المتعلم ذا علم، وذلك بتنبيه النفس مرارا؛ لتصور المعاني؛ حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم، ويلاحظ هنا معنيان: الزيادة والتكرار، وهما موجودان في اللفظين؛ إذ أن المتعلم يزداد علما مع تكرار التعليم، كما أن المتزكي يزداد صلاحا وتهذيبا بالتزكية وتكرارها، هذا وجه في الترادف. وهذا المعنى أو بعضه موجود في الإقراء .

ووجه ثان: أن الغرض من التعليم هو العمل، والتزكية تقع ضمنه، فهي من ثمرات التعليم . ويمكن القول أيضا: إنها من ثمرات الإقراء .

وأما وجه الافتراق، فالتزكية أخص من التعليم، وتُعنى بتهذيب السلوك بإصلاح القلب وتنمية الخير فيه، والجوارح من ثم تبع له، والتعليم أعم ويُعنى أكثر بالجانب التصوري المعرفي في النفس الإنسانية .

المبحث الثالث
الوظائف الرئيسة المنوطة بمقرئ القرآن

الحديث عن إقراء وتعليم القرآن في القرآن كثير ومتنوع، وربما تجاوز عدد الآيات التي تناولت هذا الموضوع الثمانين آية، وتناولت بمجملها الوظائف التي ينبغي لمقرئ القرآن أن يتصدى لها، والأهداف التي ينبغي له أن يسعى لتحقيقها في طلابه.

والذي يعنينا في هذا المبحث أربع آيات جامعة نصت على الوظائف الرئيسة المنوطة بمقرئ القرآن :

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٩ ، ﴿مِّنْهُمْ ﴾ ، ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ - في الآية الأخرى- تشير إلى أهمية التجانس والتفاعل بين المعلم والمتعلمين؛ لأنه أحرى بقوة التأثير.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١ .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ .وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ جاءت على قراءة شاذة بفتح الفاء أي من أشرفهم[1]. وهي تشير إلى أهمية أن يكون معلم القرآن معظما محترما.

---

(١) انظر روح المعاني ٤/ ١١٣، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٩٥ .

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢ .

نصت هذه الآيات الأربع على ثلاث وظائف رئيسة لمقرئ القرآن، لابد أن يقوم بها؛ كي يؤدي رسالته :

الوظيفة الأولى: التلاوة من خلال السماع والعرض .

أما السماع: فهو أن يتلو المقرئ القرآن على طلابه تلاوة صحيحة مؤثرة .

وصفة هذه التلاوة مبينة في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: ٤ .

قال ابن عباس: بيِّنه بيانًا. وقال الحسن: اقرأه قراءة بيّنة. وقال مجاهد: تَرَسَّل فيه ترسلا [(١)].

فالمعنى: اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه. قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا. رواه مسلم [(٢)]. وأخرج البخاري بسنده عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ – ﷺ – فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ بِسْمِ ٱللَّهِ وَيَمُدُّ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَيَمُدُّ ٱلرَّحِيمِ [(٣)]. وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها – أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَقَالَتْ: كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ① ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④ ﴾ رواه الإمام أحمد [(٤)].

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٩/ ١٥١، وتفسير البغوي .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٠٧– كتاب صلاة المسافرين وقصرها– باب جواز النافلة قائما وقاعدا...– حديث رقم ٧٣٣ .

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٤٣٢– كتاب فضائل القرآن – باب مد القراءة – حديث رقم ٥٠٤٦ .

(٤) المسند حديث رقم ٢٥٣٧١ . ورواه أيضا أبود داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع – حديث رقم ٥٠٠٠ .

وهذه التلاوة المجودة من المقرئ تحقق غرضين، أحدهما: تصحيح القراءة لدى المتعلمين بإسماعهم القراءة الصحيحة المجودة المتقنة من فم معلمهم، قال السعدي في تفسير الآية ١٢٩ من سورة البقرة: " ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ أي: لفظا وحفظا وتحفيظا "(١).

والغرض الآخر: هو تحقيق الجانب الدعوي التربوي بإسماعهم آيات القرآن لوعظ قلوبهم والتأثير فيها، لاسيما وهي حاضرة ومقبلة على ما يتلى من القرآن، مع كمال في الاستماع والإنصات، مما يعين على تحصيل المقصود، وهذا يكشف لنا سرا من أسرار قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠.

وأما العرض؛ فيستمع المقرئ إلى تلاوة طلابه؛ لتقويمها، وتصحيحها، وإجازتها .

وجيء بالمضارع في قوله: ﴿يَتْلُواْ﴾ ؛ للإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته (٢)، وهذا التكرار يحتاجه الطالب كي يتقن حفظه، كما أنه يعين على تدبر الآيات والانتفاع بها .

وسيأتي مزيد بيان لهذه الوظيفة في المبحث القادم .

الوظيفة الثانية: تعليمهم الكتاب والحكمة.

تعد هذه الوظيفة من أهم وظائف مقرئ القرآن. وقد عظم الله شأنها حين قال جل وعلا في أول سورة الرحمن : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن: ١ - ٤ .

فافتتح الله سورة الرحمن باسمه الرحمن الدال على إحسانه وسعة رحمته، التي أعظمها : نزول القرآن، وتعليم عباده ألفاظه ومعانيه، وتيسيرها عليهم،

(١) تفسير السعدي ص ٦٦ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٤١٤ .

فأنزل الله عليهم قرآنا عربيا، على أحسن الألفاظ، وأوضح المعاني، قد اشتمل على كل خير، وزجر عن كل شر، ولكي يتحقق هذا التعليم على أحسن الوجوه وأكملها؛ خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وعلمه البيان والإفصاح عما في ضميره، وهذا البيان شامل للنطق والخط[١].

ففي هذه الآيات تعظيم لإقراء القرآن وتعليمه ورفع لمنزلة أهله.

قال ابن عطية:" وقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ تعديد نعمه، أي هو منَّ به وعلمه الناس، وخص حفاظه وفهمته بالفضل، قال رسول الله ﷺ: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** [٢].

وقد نصت الآيات الأربع السابقة على أن تعليم الكتاب والحكمة من وظائف مقرئ القرآن الرئيسة، فقال تعالى في كل آية : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ .

والمراد بالكتاب هو القرآن، وأما الحكمة: فذهب ابن زيد واختاره مالك أنها الفقه في الدين ومعرفة التأويل والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى، وذهب قتادة واختاره الشافعي إلى أنها سنة الرسول - ﷺ - [٣]، ونقل عن مقاتل أن الحكمة في القرآن على أربعة أوجه، أحدها:أن الحكمة مواعظ القرآن، وثانيها: الحكمة معناها الفهم والعلم، وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة، ورابعها: أن الحكمة هي القرآن، واستشهد بآيات لكل معنى، قال الرازي معقبا على ما نقل عن مقاتل:" وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم" اهـ [٤]، وجمع الطبري بين ما قاله ابن زيد وقتادة، فرجح أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول - ﷺ - وذكر ابن القيم أن الحكمة هي السنة باتفاق السلف [٥].

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٩/ ٧٦ ، وتفسير البيضاوي ٥/ ٢٧٢ ، وتفسير السعدي ص ٨٢٨ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٣ . والحديث تقدم تخريجه في التمهيد .

(٣) انظر تفسير الطبري ١/ ٦٠٦ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢١٢، وتفسير القرطبي ٢/ ١٢٩، والتحرير والتنوير ١/ ٤١٥.

(٤) تفسير الرازي ٢/ ١٦٤ .

(٥) الروح ص ٧٥ .

والذي يظهر أن المراد بالحكمة في الآيات الأربع يحتمل جميع ما قيل في تفسيرها، وأقواها دخولا في معنى الحكمة قول من قال بأنها السنة، وكذا قول من قال بأنها الفقه في الدين ومعرفة التأويل .وعليه فمعلم القرآن يعتمد في تفسير الآيات وبيان دلالاتها على ثلاثة مصادر: القرآن نفسه، لأن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن، وهذا أشار إليه قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾.

والمصدر الثاني هو السنة، وهي خير ما يفسر به القرآن بعد القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ .

والمصدر الثالث: أقوال العلماء، لاسيما ما أثر عن الصحابة والتابعين.

والمصدران : الثاني، والثالث، أشار إليهما قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ بناء على ما رجحت في تفسير الآية .

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ عموم بعد خصوص ، فالتعليم هنا عام، يشمل تعليم القراءة الذي دل عليه قوله: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ عرضا وسماعا ، ويشمل – أيضا – تفسيرها وبيان مقاصدها وأسرارها .

الوظيفة الثالثة: تزكية الطلاب وتربيتهم .

والتزكية في الآيات الأربع تعني إصلاح القلب والجوارح وتطهيرها حتى تخضع لباريها، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس – رضي الله عنهما– : " ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾،قال:يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص" [1].

والتزكية تعني – أيضا – التطهير من النقائص، وأكبر النقائص الشرك بالله ثم ما يليه من الكبائر والفواحش، قال السعدي في تفسير قوله:

(١) تفسير الطبري ١/ ٦٠٦ .

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ "أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحابب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية"اهـ (١).

ولما كان المقام مقام دعاء وتضرع ختمت الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تمجيدا لله بأسمائه الحسنى، أي إنك أنت القاهر لكل شيء الذي لا يمتنع على قوته شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها،فبعزتك وحكمتك ابعث فيهم هذا الرسول، ولذا جاء ترتيب الجمل في الآية في الذكر على حسب ترتيب وجودها؛ لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٨ - ١٩، ثم بالعلم تحصل التزكية وهي بالعمل بما أرشد إليه القرآن (٢).

أما الآيات الثلاث الباقية، فجاء ذكر التزكية فيها بعد التلاوة؛ لأن المقام فيها مقام امتنان وتعداد للنعم، كما تقدم في التمهيد (٣).

ولم يراعَ في هذه الآيات ترتيب هذه النعم حسب وجودها؛ حتى لا يوهم أنها نعمة واحدة، فقدمت التزكية؛ لأنها نعمة مقصودة لذاتها، والتعليم إنما هو وسيلة لتحصيلها، هذا من وجه . ومن وجه آخر يمكن أن يقال: إن تقديم التزكية على التعليم؛ لأن تعليم الكتاب وتفهيم ما انطوى عليه من الحكم الإلهية والأسرار الربانية إنما يكون بعد التخلي عن دنس الشرك ونجس الشك بالاتباع، وأما قبل ذلك فالكفر حجاب (٤).

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٧٤ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود ١/ ١٧٨، وروح المعاني للألوسي ٢/ ١٩، وتفسير السعدي ص٦٦ ، والتحرير والتنوير ١/ ٤١٥ .

(٣) انظر التمهيد- المبحث الثاني من فضل تعلم القرآن وتعليمه.

(٤) انظر تفسير أبي السعود ١/ ١٧٩ ، وروح المعاني ٢/ ١٩ .

ووجه ثالث: أنه إذا كانت التلاوة بلاغ فالتزكية تعني الاستجابة له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" التلاوة هي تبليغ كلامه تعالى إليهم، وهذا لابد منه لكل مؤمن، وتزكيتهم هو جعل أنفسهم زكية بالعمل الصالح الناشئ عن الآيات التي سمعوها وتليت عليهم، فالأول سمعهم والثاني طاعتهم، والمؤمنون يقولون سمعنا وأطعنا، والأول علمهم والثاني عملهم والإيمان قول وعمل"اهـ [1].

ويعني بالأول في الموضعين التلاوة، فهي سمعهم لما تلي عليهم من الآيات وعلمهم بها، ويعني بالثاني التزكية، فهي حاصلة بطاعتهم واستجابتهم لما اشتملت عليه تلك الآيات من أوامر وهدايات .

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٨٩ .

المبحث الرابع
أصول الإقراء في القرآن
" العرض والسماع "

تقدم في المبحث السابق أن الوظيفة الأولى لمقرئ القرآن هي التلاوة من خلال العرض والسماع .

وعندما جمعت الآيات المتعلقة بإقراء القرآن، لاحظت كثرتها وتنوعها، فبعضها جاء بلفظ التعليم أو مشتقاته، وبعضها جاء بلفظ القرآن أو مشتقاته [١]، غير أن معظم الآيات جاءت بلفظ التلاوة أو مشتقاته، وهذا أمر لافت، وجدير بالتأمل والنظر.

ولن يطول العجب إذا تسنى للناظر أن يستكشف بعضا من أسرار هذه الكلمة وبلاغتها؛ فالتلاوة مسلك مؤثر من أعظم مسالك نبينا محمد - ﷺ - في دعوته الناس وتبليغهم دين الله تعالى، كما أنها وسيلة تربوية بالغة استعملها في إصلاح قلوب أصحابه وتزكية نفوسهم، وما ذاك إلا لما للقرآن من سلطان على النفوس، حين تستمع وتنصت لحديثه الآذان وتلين لآياته قلوب الإنس والجان [٢].

والتلاوة واحدة من أهم الوظائف المنوطة بمقرئ القرآن، يعرض بها المتعلم قراءته على شيخه؛ ليسمع منه تلاوته، فيقومها له، كما أن المتعلم يحتاج إلى أن يسمع التلاوة من شيخه مشافهة؛ ليعرف منه القراءة الصحيحة المجودة . فسماع الشيخ من التلميذ والتلميذ من الشيخ سنة من سنن إقراء القرآن، يعبر عنها **بالعرض والسماع**، وهي سنة تلقوها من المعلم الأول نبينا محمد ﷺ .

---

(١) تكرر لفظ القرآن في ثلاثة وأربعين موضعا من القرآن في ثلاث وأربعين آية، بعضها جاء بمعنى المصدر أي القراءة وبعضها بمعنى المقروء أي القرآن كعلم .

(٢) يأتي الحديث عن وجه الإعجاز اللغوي في لفظ التلاوة ومشتقاته في مبحث التخلق بالقرآن في الفصل القادم.

وقد جاءت آيات عديدة تدل على أن المعلم الذي تلقى عنه النبي – ﷺ – القرآن هو جبريل عليه السلام .

قال الله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ النجم: ٥ .

فدلت الآية على أن جبريل قد علَّم محمدا – ﷺ – القرآن، وأنه شديد القوى الظاهرة والباطنة، قوي في تعليم الرسول – ﷺ – وإيصال الوحي إليه ومنعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه وعنايته به أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين [(١)] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٦٩

وإذا كانت الآية السابقة دالة بمنطوقها على تعليم القرآن، فهذه الآية كذلك بمفهومها تتضمن الدلالة نفسها، أي أن الله تعالى ما علم نبيه الشعر وإنما علمه الذكر والقرآن المبين عن طريق جبريل عليه السلام[(٢)] .

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل: ١٠٣ .

وهذه الآية كالآية السابقة تؤكد أن الذي علَّم النبيَ – ﷺ – القرآن هو الله تعالى، وهي تعرض شبهة أخرى من شبه المشركين، فالآية خبر من الله تعالى عن مقالة المشركين وزعمهم أن القرآن إنما يتلقاه محمد ويتعلمه من أحد الأعاجم في مكة، فالذي يشيرون إليه أعجمي اللسان، وهذا القرآن جاء بلغة ولسان عربي مبين، وهو قول ظاهر البطلان، وزعم في غاية التناقض والفساد [(٣)] . وجاء في موضع آخر الإشارة إلى هذا الافتراء عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ الدخان: ١٤، فقوله: ﴿ مُعَلَّمٌ ﴾ أي يعلمه بشر [(٤)] .

(١) انظر تفسير السعدي ص ٨١٨ .
(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٥٣٨ .
(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٧ ، وتفسير السعدي ص٤٥٠ .
(٤) تفسير البغوي ٤/ ١٥٠ .

والتعليم المذكور في الآيات مجمل تفسره آيات أخرى، تدل على أنه - ﷺ - قد تلقى القرآن من ربه جل وعلا بواسطة جبريل من خلال العرض والسماع [١].

فالإقراء في القرآن يقوم على هذين الأصلين .

أما **السماع** فدل عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ .

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال كان النبي - ﷺ - إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فينسى ما علمه، فقال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾ طه: ١١٤، وقال: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ** ﴾ القيامة: ١٦ [٢]. ومعنى قوله: ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ** ﴾ أي لا تعجل بالقراءة [٣].

وأخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله - ﷺ - يعالج من التنزيل شدة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾** ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩، قال ابن عباس :" ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ** ﴾ أي أن نجمعه في صدرك، ﴿ **وَقُرْءَانَهُۥ** ﴾: أن تقرأه، ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ** ﴾ أي: أنزل عليك، ﴿ **فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾: أي استمع ، ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴾ أي أن نبينه على لسانك" [٤]، وفي رواية: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴾ : ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله - ﷺ - بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - ﷺ - كما قرأه [٥].

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٦٥ .

(٢) الدر المنثور ٥/ ٦٠٢ .

(٣) انظر تفسير مقاتل ٢/ ٣٤٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ٢٣٣ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٨٧٧ -باب قوله: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ القيامة: ١٨ - حديث رقم ٤٦٤٥ .

(٥) صحيح البخاري ١/ ٦ - باب كيف كان بدء الوحي - حديث رقم ٥ .

وقول ابن عباس: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ نبينه على لسانك، وقوله: "فإذا انطلق جبريل قرأه النبي – ﷺ – كما قرأه" – يعني كما قرأه جبريل – يشير إلى تجويد النبي – ﷺ – للقراءة؛ لمطابقتها لقراءة جبريل عليه السلام، ولأن إبانتها على لسانه – ﷺ – لا تتحقق إلا إذا كانت مجودة [(١)].

ودل على السماع – أيضا – قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ الأعلى: ٦، قال البغوي: " أي سنعلمك بقراءة جبريل عليك " [(٢)]. وعلى هذا القول يكون الإقراء قد فسر بالسماع ، أي سماع النبي – ﷺ – لقراءة جبريل عليه السلام، لاسيما عند نزوله بالوحي .

وأما **العرض**، فدل عليه قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ الأعلى: ٦، فقد فسرها الواحدي بقوله:" ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾: سنجعلك قارئا لما يأتيك به جبريل عليه السلام من الوحي" [(٣)]. وإذا كان القارئ هو النبي – ﷺ – فالمقرئ هو جبريل عليه السلام، فهذا التفسير للآية يعني أنه بعد أن يسمع النبي – ﷺ – الوحي من جبريل سيتمكن –بوعد الله له– من قراءته على جبريل، وهو العرض، ويؤيد هذا المعنى أن الإقراء في اللغة يعني قراءة التلميذ على الشيخ، كما تقدم في المبحث السابق .

ودل على العرض – أيضا – قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ القصص: ٤٥، بناء على ما ذهب إليه صاحب الكشاف في تفسيرها، وتبعه عليه عدد من المفسرين [(٤)]. والشاهد من الآية هو قوله: ﴿ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ .

---

(١) انظر سنن القراء ومناهج المجودين للدكتور عبد العزيز القارئ ص٢٣ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٦ ، وانظر تفسير السمرقندي ٣/ ٥٤٩، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٤ .

(٣) الوجيز ٢/ ١١٩٤ ، وانظر تفسير الرازي ٣١/ ١٢٨ .

(٤) منهم البيضاوي في تفسيره ٤/ ٢٩٥، وأبو حيان في البحر المحيط ٧/ ١١٧، والنسفي في تفسيره ٣/ ٢٣٩ ، وأبو السعود في تفسيره ٧/ ١٦ ، والألوسي في روح المعاني ٢٠/ ٨٧ .

قال الزمخشري: " ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي مقيماً، ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به، ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ تقرؤها عليهم تعلماً منهم، يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه، ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها" [(١)].

وأما الأحاديث الدالة على أن النبي - ﷺ - قد تلقى القرآن من الحكيم العليم بواسطة جبريل عليه السلام، من خلال العرض والسماع – فكثيرة، في الصحيحين، وغيره:

منها حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: **(كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله - ﷺ - أجود بالخير من الريح المرسلة)** [(٢)].

وفي رواية: **(كان النبي - ﷺ - أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله - ﷺ - القرآن)** [(٣)].

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: **(إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)** [(٤)].

وفي رواية عند الطيالسي في مسنده: **(إن جبريل عليه السلام كان يعرض علي القرآن كل عام مرة فعرضه علي العام مرتين ولا أرى إلا أجلي قد اقترب)** [(٥)].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٢ .

(٢) صحيح البخاري ١/ ٦ – باب كيف كان بدء الوحي – حديث رقم ٦ ، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٠٣ – باب كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أجود الناس بالخير من الريح المرسلة– حديث رقم ٢٣٠٨ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٩١١ –باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم– حديث رقم ٤٧١١ .

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٦ – باب علامات النبوة في الإسلام – حديث رقم ٣٤٢٦ ، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٠٤ – باب فضائل فاطمة عليها السلام – حديث رقم ٢٤٥٠ .

(٥) مسند الطيالسي ١/ ١٩٦ – حديث رقم ١٣٧٣ .

ومنها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (**كان يعرض على النبي - ﷺ - القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه**) [1].

فقوله: (**يعرض عليه رسول الله - ﷺ - القرآن**) في الرواية الثانية من حديث ابن عباس صريح في أن الرسول - ﷺ - كان يقرأ على جبريل عليه السلام، فهذا هو العرض . كما أن حديث أبي هريرة وحديث عائشة - رواية الطيالسي - صريحان في أن جبريل عليه السلام كان يقرأ والنبي - ﷺ - كان يسمع، وهذا هو السماع، وظاهر قوله : (**فيدارسه**) في الرواية الأولى من حديث ابن عباس يدل على أن كلا منهما كان يقرأ على الآخر، كما يقول ابن حجر، وهي موافقة لقوله: (**يعارضني**) في حديث عائشة[2]، قال العيني : "لما كان النبي - ﷺ - وجبريل عليه السلام يتناوبان في قراءة القرآن كما هو عادة القراء بأن يقرأ مثلا هذا عشرا والآخر عشرا أتى بلفظة المدارسة أو أنهما كانا يتشاركان في القراءة أي يقرأان معا، وقد علم أن باب المفاعلة لمشاركة اثنين، نحو ضاربت زيدا وخاصمت عمرا "اهـ [3]. فالمدارسة والمعارضة على هذا الوزن لفظان دالان على العرض والسماع .

ومنها - أيضا - حديث الأحرف السبعة في بعض رواياته:

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: (**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**) [4]. فمعنى أقرأني، أي قرأت عليه، بدلالة حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا أبي بن كعب إن ملكين أتياني فقال**

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩١١ - باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ٤٧١٢ .

(٢) انظر فتح الباري ٩/ ٤٥ .

(٣) عمدة القاري ١/ ٧٥ . وانظر سنن القراء ومناهج المجودين للدكتور القارئ ص ٢٥،٢٦ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٩٠٩ - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف - حديث رقم ٤٧٠٥، وصحيح مسلم ١/ ٥٦١ - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف - حديث رقم ٨١٩ .

أحدهما اقرأ القرآن على ستة أحرف فقال الآخر زده فقلت زدني فقال اقرأ القرآن على سبعة أحرف) [١]. فقوله: **(اقرأ القرآن)** في الموضعين، أي: على جبريل، على ما يظهر، والله أعلم .

ومنها كذلك حديث أبي في الصحيحين .

عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ - رضي الله عنـه - قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ - ﷺ - لِأُبَيٍّ: **(إِنَّ اللهَ أَمَـرَنِي أَنْ أَقْـرَأَ عَلَيْـكَ: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾)** [٢]. قَالَ: وَسَمَّانِي قَالَ: **(نَعَمْ)**، فَبَكَى [٣].

والحديث ظاهر الدلالة على أن عرض القرآن سنة . كما أن فيه دلالة على أن النبي صلى الله عليه كان يُعِدُّ جملة من نجباء الصحابة؛ ليكونوا أئمة في إقراء القرآن .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام :"معنى هذا الحديث عندنا: أن رسول الله - ﷺ - إنما أراد بذلك العرض على أبي أن يسمع منه القراءة، ويستثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي - ﷺ - منه شيئا بذلك العرض" اهـ [٤].

وقال النووي: " وَاخْتَلَفُوا فِي الْحِكْمَة فِي قِرَاءَته - ﷺ - عَلَى أُبَيّ ، وَالْمُخْتَار أَنَّ سَبَبهَا أَنْ تَسْتَنّ الْأُمَّة بِذَلِكَ فِي الْقِرَاءَة عَلَى أَهْل الْإِتْقَان وَالْفَضْل،

---

(١) الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني ١/ ١٥ .

(٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم :" وَأَمَّا تَخْصِيص هَـذِهِ السُّورَة فَلِأَنَّهَا وَجِيزَة جَامِعَة لِقَوَاعِد كَثِيرَة مِنْ أُصُول الدِّين وَفُرُوعه وَمُهِمَّاته وَالْإِخْلَاص وَتَطْهِير الْقُلُوب، وَكَانَ الْوَقْت يَقْتَضِي الِاخْتِصَار" اهـ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٦٠٣- كتاب مناقب الأنصار- باب مناقب أبي بن كعب - حديث رقم ٣٨٠٩، وصحيح مسلم ١/ ٥٥٠- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه- حديث رقم ٧٩٩ .

(٤) فضائل القرآن ص ٢١٥ .

وَيَتَعَلَّمُوا آدَاب الْقِرَاءَة، وَلَا يَأْنَف أَحَد مِنْ ذَلِكَ . وَقِيلَ : لِلتَّنْبِيهِ عَلَى جَلَالَة أُبَيّ وَأَهْلِيَّتِهِ لِأَخْذِ الْقُرْآن عَنْهُ، وَكَانَ يَعُدّهُ - ﷺ - رَأْسًا وَإِمَامًا فِي إِقْرَاء الْقُرْآن " اهـ [1] .

وإقراء القرآن بمعنى عرض القارئ قراءته على الشيخ أمر مستقر عند العلماء، قال البخاري: "ويقرأ على المقرئ فيقول القارئ أقرأني فلان" [2] . وروى الخطيب في الكفاية من طريق ابن وهب قال سمعت مالكا وسئل عن الكتب التي تعرض عليه أيقول الرجل حدثني ؟ قال: نعم، كذلك القرآن، أليس الرجل يقرأ على الرجل، فيقول أقرأني فلان [3] .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٣٣٣ .
(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٤ .
(٣) فتح الباري ١/ ١٤٩ .

المبحث الخامس
وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ

إقراء القرآن وتعليمه مهمة كبيرة، لا تؤتي أكلها إلا إذا سلك المقرئ المسالك الصحيحة في أدائها . وأهم من ذلك أن يملك في ذاته أسباب النجاح . وأعني بهذا أن يكون مؤهلا بالصفات التي كان عليها المعلم الأول محمد ﷺ .

وأعظمها : صفة نص عليها القرآن، جامعة لكثير من الخصال، هي :

صفة الربانية:

والأصل في هذه الصفة قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩ .

سبب نزولها:

قيل المراد بالبشر في الآية هو عيسى عليه السلام، وقد جاءت الآية في سياق الحديث عن علماء أهل الكتاب وأن من عادتهم التحريف والتبديل فأتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرّفوه ما زعموا من أن عيسى عليه السلام كان يأمر قومه بعبادته، فلهذا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية [(١)] .

وقيل المراد بالبشر محمد - ﷺ - وورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن إسحاق بسنده والطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - ﷺ - ودعاهم إلى الإسلام، قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ -أو كما قال - فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا

---

(١) انظر تفسير الرازي ٨/ ٩٦ .

بذلك أمرني -أو كما قال ﷺ -، فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ إلى قوله: ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:٧٩- ٨٠ [١].

ومعنى الآية: ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى، قال الحسن البصري : " لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا" [٢]، يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم كما قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١[٣].

وقد اشتملت هذه الآية كسابقاتها على الوظائف المناطة بمعلم القرآن، وهي المذكورة في قوله: ﴿ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ ، وقوله: ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ ، وقوله: ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ .

لكن الآية جاءت بوصفين لمعلم القرآن لم يذكرا في الآيات الأربع السابقة، وهما قوله: ﴿ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾، وقوله : ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ ، ولابد من وقفة لتجلية المراد بهؤلاء الكلمات عند أهل التفسير:

-أما قوله: ﴿ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ فهي جمع رباني منسوب إلى الرب وأصله ربي، فزيدت فيه الألف والنون للتأكيد والمبالغة في النسبة [٤]، وقال سيبويه: "زادوا ألفا ونونا في الرباني إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم وهو كما يقال رجل شعراني ولحياني ورقباني إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة" [٥]. وقال البغوي: "

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ ، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٥٠ .
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١ ، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٥٠ .
(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨.
(٤) انظر معاني القرآن للنحاس ١/ ٤٢٨ ، وعمدة القاري للعيني ٢/ ٤٣ .
(٥) لسان العرب ١/ ٤٠٣ .

﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ : تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل ربي، فأدخلت الألف للتفخيم ثم أدخلت النون لسكون الألف كما قيل صنعاني وبهراني"(١).

وقد جاء في تفسير قوله: ﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ عدة روايات عن ابن عباس وغيره تتفق في مضمونها مع القول بأن أصل رباني ربي(٢)، كما أنها تتفق - أيضا - مع سياق الآية وما ورد فيها من سبب نزول:

فعن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير أنه فسرها بقوله: "**فقهاء معلمين**".

ومن طريق عكرمة عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: "**حلماء علماء حكماء**". وبه قال مجاهد(٣).

ومن طريق الضحاك عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: "**علماء فقهاء**".

ومن طريق العوفي عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: "**حكماء فقهاء** ".

وعن ابن مسعود أنه فسرها بقوله: " **حكماء علماء** ". وهو موافق لقول ابن عباس السابق من طريق العوفي(٤).

وعن سعيد بن جبير أنه فسرها بقوله: "**حكماء أتقياء**".

وعن عباد بن منصور قال: سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾، يقول: "**كونوا أهل عبادة وأهل تقوى لله**".

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ يعني متعبدين لله عز وجل "(٥).

وقيل الرباني منسوب إلى الربان أو إلى الرب وهو المصدر، بمعنى التربية(٦)، قال المبرد: "الربانيون هم أرباب العلم، سموا به؛ لأنهم يربون العلم ويقومون

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٣٢١.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١، والدر المنثور ٢/ ٢٥٠.

(٣) تفسير مجاهد ص ١٢٩.

(٤) وصحح العيني إسناد رواية ابن مسعود، انظر عمدة القاري ٢/ ٤٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٧٨.

(٦) انظر المفردات للراغب ص ١٨٤.

به، ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح الشيء وإتمامه فقد ربه يربه، واحدها ربان، كما قالوا ريان وعطشان وشبعان، ثم ضمت إليه ياء النسبة، كما يقال: لحياني ورقباني" [١].

وقال ابن الأعرابي: " الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها" [٢]. وأورد البخاري هذا القول في صحيحه، ولم ينسبه لأحد[٣]. وشرحه العيني فقال : "وهو من التربية أي الذي يربي الناس بجزئيات العلم قبل كلياته أو بفروعه قبل أصوله أو بمقدماته قبل مقاصده" [٤].

وبناء على هذا الأصل فسر ابن زيد الربانيين، فذكر أنهم ولاة الأمر الذين يربون الناس، ويلونهم"، وقرأ: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ المائدة: ٦٣، قال: " **الربانيون الولاة والأحبار العلماء**"، وظاهر كلام الطبري ترجيح هذا القول[٥].

وبناء على هذا الأصل - أيضا - روي عن مجاهد أنه قال: " الربانيون فوق الأحبار، فالأحبار العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس " [٦].

والمتأمل في الأقوال السابقة على كثرتها يلحظ أنها معان متنوعة، ولكن ليس بينها تضاد، وتحتملها كلمة: ﴿ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ ، فهي من الكلمات الجامعة التي تحكي طرفا من إعجاز القران وبلاغته ، وعليه يمكن القول بأن المراد بالربانيين في الآية -والله أعلم- **هم العلماء الحلماء الحكماء العباد الأتقياء الذين يعلمون الناس ويربونهم بصغار العلم قبل كباره** [٧].

(١) نقلا عن تفسير البغوي ١/ ٣٢١ ، وانظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٢ .
(٢) لسان العرب ١/ ٤٠٤ .
(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٧ .
(٤) عمدة القاري ٢/ ٤٣ .
(٥) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥ ، والدر المنثور ٢/ ٢٥٠ .
(٦) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥ ، وتفسير السمعاني ١/ ٣٣٦ .
(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٣ .

قال السعدي: " ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: **علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك** "[(١)].

- وأما قوله: ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ ففيها قراءتان: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: " **تَعْلَمُون** "، بسكون العين وتخفيف اللام، من العلم، أي تفهمون، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ مثقلا بضم التاء وكسر اللام، من التعليم، وهذا على تعدية الفعل بالتضعيف، والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، تقديره: تعلمون الناس الكتاب[(٢)]. والقراءتان بمجموعهما تؤكدان المعنى الراجح في قوله: ﴿ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ ؛ لأن قراءة التخفيف تفيد العلم والفقه، وقراءة التضعيف تفيد التعليم، وكلا المعنيين متحقق في الرباني كما تقدم .

- وأما قوله: ﴿ تَدۡرُسُونَ ﴾ : ففسره مقاتل بن سليمان بـ " تقرؤون "[(٣)]، وكذا قال الطبري والبغوي، وغير واحد[(٤)] .

وذهب ابن عاشور إلى أن ﴿ تَدۡرُسُونَ ﴾ معناه تقرءون، لكنها قراءة بإعادة وتكرير؛ باعتبار أصل "درس" في اللغة- كما تقدم في المبحث السابق- ومنه : درس الكتاب إذا قرأه بتمهل لحفظه أو للتدبر، واستدل بحديث أبي هريرة، وفيه: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**) رواه مسلم[(٥)]،حيث عطف التدارس على القراءة، فعلم أن الدراسة أخص من القراءة ، وقال أيضا: إن مادة "درس" تستلزم التمكن من المفعول

---

(١) تفسير السعدي ص١٣٦ .

(٢) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٣ ، وتفسير البغوي ١/ ٣٢١ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٣ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ١٧٨ .

(٤) انظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٣ ، وتفسير البغوي ١/ ٣٢١ .

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر- حديث رقم ٢٦٩٩ .

فلذلك صار درس الكتاب مجازا في فهمه وإتقانه، ولذلك عطف في هذه الآية ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ على ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [(1)].

وما ذهب إليه ابن عاشور وجيه، ويؤيده تفسير ابن كثير للآية حيث قال: " ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾: أي تحفظون ألفاظه " [(2)]. والحفظ يلزم منه الإعادة والتكرار . ويؤيده – أيضا – أنه إذا كان الربانيون هم العلماء الفقهاء؛ فإنهم لن يقتصروا في دراستهم للقرآن على القراءة، بل يتعداها إلى الحفظ والفهم والتدبر . وقرأ سعيد بن جبير: **" تُدَرِّسون "** من التدريس، وروي أن أبا حيوة قرأ بها [(3)]. وهي تؤكد قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ ﴾ على قراءة التشديد، وتتفق – أيضا – مع سياق الآية الدال على أن وظيفة الأنبياء والعلماء هي تعليم الناس القرآن ودعوتهم إلى التوحيد .

وصيغة المضارع في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ ﴾ ، وقوله: ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ تشير إلى الاستمرارية في التعليم والمدارسة، فمن خصال المعلم الرباني أنه مداوم على تعليم القرآن ومدارسته.

وحاصل ما تقدم أن الربانية صفة جامعة لعدد من الخصال، وأهمها :

- العلم والفقه.
- والحكمة وحسن التدبير.
- والحلم والتحلم.
- والتقوى والإخلاص.
- والمداومة على إقراء القرآن ومدارسته .

– أما **العلم والفقه** فيحتاجه مقرئ القرآن؛ ليبين لطلابه معاني الآيات ودلالاتها، والأحكام المتعلقة بها، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي

(١) انظر التحرير والتنوير ٣/ ٧٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ .

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٣ ، والمحرر الوجيز ١/ ٤٦٣ .

والمدني، وكذلك أوجه القراءات والفروق بينها، وأحكام الوقف والابتداء، ونحو ذلك مما يحتاج إلى بيانه مما له علاقة بالتفسير أو علوم القرآن مما يعرض له وهو يؤدي رسالته.

- وأما **الحكمة وحسن التدبير** فهي سر النجاح، فبها يسوس مقرئ القرآن طلابه، فيغرس في قلوبهم محبة القرآن وتعظيمه، وينشط نفوسهم لحفظ القرآن ومدارسته، ويجنبهم أسباب الملل والسآمة، ويربيهم بالقرآن شيئا فشيئا، ويأخذهم في مدارج الكمال خطوة خطوة، ويختار لهم الأوقات المباركة والأماكن المناسبة، ويقتصر على بضع آيات في الدرس الواحد؛ كي يسهل إتقان حفظها وفهمها والعمل بها، ويبدأ طلابه بصغار العلم قبل كباره، وينظر إلى ما بينهم من فروق في الاستعداد وتفاوت في القدرات نظرة تقدير واعتبار، ويقترب منهم؛ ليعرف أحوالهم وحوائجهم ويَشْركهم في آمالهم وآلامهم.

قال الإمام النووي: "وينبغي له -يعني معلم القرآن- أن يُذَكِّر المتعلم فضيلة تعلم القرآن؛ ليكون سببا في نشاطه وزيادة في رغبته، ويزهده في الدنيا ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها، ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن، وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه .

وينبغي أن يؤدبه على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية، ويعوده الصيانة في جميع أموره الباطنة والجلية، ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأنه لذلك تنفتح عليه أنوار المعارف وينشرح صدره وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في علمه وحاله، ويوفق في أفعاله وأقواله .

وينبغي أن يكون حريصا على تفهيمهم -يعني المتعلمين- وأن يعطي كل إنسان منهم ما يليق به، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار، ولا يقصر لمن يحتمل الزيادة ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم، ويثني على من ظهرت نجابته ما لم يخش

عليه فتنة بإعجاب أو غيره، ومن قصر عنفه تعنيفا لطيفا ما لم يخش عليه تنفيره، وينبغي أن يظهر لهم البشر وطلاقة الوجه، ويتفقد أحوالهم، ويسأل عمن غاب منهم" [(١)].

- وأما **الحلم** فمن الصفات الضرورية لمعلم القرآن لما قد يلقاه من بعض المتعلمين من صعوبة في الحفظ أو بطء في الفهم أو تلبس ببعض المعاصي أو سوء أدب -لاسيما صغار السن منهم- ونحوها من مثيرات الغضب، فتجيء صفة الحلم في المعلم لاستيعاب ذلك كله .

وإذا كانت هذه الصفة ضعيفة لدى المقرئ فعليه أن يجلبها لنفسه بالتحلم؛ لأنها وإن كانت صفة جبلية إلا أنه يمكن تعويد النفس عليها بكظم الغيظ حتى تقوى فيها مع الوقت .

قال الإمام الغزالي: "اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا، قال ﷺ: (**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتخير الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**)[(٢)] " اهـ[(٣)].

- وأما **التقوى والإخلاص** فهي الصفة الأم؛ فهي التي من أجلها نزلت الآية، وهي التي يدل عليها لفظ: ﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ ، كما قال مقاتل : متعبدين لله عز وجل، وكما قال الحسن: كونوا أهل عبادة وأهل تقوى لله .

(١) باختصار وتصرف من التبيان في آداب حملة القرآن ١/ ١٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ١١٨ – حديث رقم ٢٦٦٣ ، والدارقطني في العلل ١٠/ ٣٢٦ من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة ، وقال: المحفوظ وقفه على أبي الدرداء ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع – حديث رقم ٢٣٢٨ .

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٦ .

وتحقق التقوى والإخلاص لله تعالى في قلب المقرئ؛ سيحمله على الحرص على تعليم تلاميذه على أحسن وجه وأكمل طريقة، مؤثرا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست بضرورية. وسيحمله - أيضا - على تفريغ قلبه في حال جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها.

ولا عجب أن ترى المقرئ المخلص يحب لتلاميذه ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من النقص مطلقا؛ لأنه ممتثل لقول الرسول ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) [1].

- **وأما المداومة على تعليم القرآن ومدارسته فهي كذلك من أهم** الخصال؛ لأن ثمرة الإقراء موقوفة عليها، ولهذا - كما تقدم - جاء وصف الربانيين بقوله: ﴿**تُعَلِّمُونَ**﴾، وقوله: ﴿**تَدْرُسُونَ**﴾ بصيغة المضارع ؛ للدلالة على الدوام والاستمرار .

بل إن المداومة على العبادة عموما مما يحبه الله ويرتضيه لعبده؛ فكيف بتعليم القرآن وإقرائه الذي يعد من أعظم وظائف نبينا محمد ﷺ .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : (**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**) . وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته [2].

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه . صحيح البخاري ١/ ١٤ -كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - حديث رقم ١٣، وصحيح مسلم ١/ ٦٧ -كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير- حديث رقم ٤٥ .

(٢) متفق عليه . صحيح البخاري ٥/ ٢٣٧٣- كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل - حديث رقم ٦٠٩٩ ، وصحيح مسلم ١/ ٥٤١ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره - حديث رقم ٧٨٣.

الفصل الثاني
آيات التلاوة والقراءة وفقهها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التلاوة والقراءة والفرق بينهما عند أهل اللغة
المبحث الثاني : آيات التلاوة وفقهها
المبحث الثالث : التخلق بالقرآن
المبحث الرابع : آيات القراءة وفقهها

المبحث الأول
التلاوة والقراءة والفرق بينهما عند أهل اللغة

تقدم أن القراءة مصدر قرأ يقرأ، وأن لفظ القرآن يأتي في القرآن بمعنى المصدر أي القراءة [1].

وأما التلاوة : فمصدر تلا أي قرأ، ويكون بمعنى تبع، قال الخليل:"تلا فلان القرآن يتلو تلاوة وتلا الشيء تبعه تلوا " [2].

ولعل الأصل في معنى تلا هو تبع، وليس قرأ ، ويكون وجه إطلاق التلاوة على القراءة؛ لأن القارئ في قراءته كأنه يتبع الحروف والكلمات والجمل حرفا حرفا وكلمة كلمة وجملة جملة،أو لأن الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضا في الذكر [3].

قال القرطبي:"وأصل التلاوة الاتباع، ولذلك استعمل في القراءة؛ لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على نسقه" [4].

ومعنى التلاوة هو قراءة المكتوب أو استعراض المحفوظ، وهي تعني إعادة الكلام دون زيادة عليه ولا نقص منه، وهي كالقراءة اسم لحكاية كلام؛ لإرادة تبليغه بلفظه، إلا أن القراءة تختص بحكاية كلام مكتوب [5].

وغلب استعمال لفظ التلاوة ومشتقاته في القرآن دون القراءة؛ لما يتضمنه هذا الحرف من بلاغة وفصاحة [6].

---

(١) انظر ص ١٧ .

(٢) العين ٨/ ١٣٤ ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ٢٢٥ .

(٣) انظر التبيان تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري ، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٧٠.

(٤) تفسير القرطبي ١/ ٤٠٨ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ٤/ ٨٠٣ .

(٦) يأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث القادم .

يضاف أن إسناد التلاوة للنبي - ﷺ - مناسب؛ لكونه أميا، لا يقرأ، ولا يكتب، كما أن الأمة التي بعث بها وهم العرب قوم غلبت فيهم الأمية[1].

وأما العلاقة بين القراءة والإقراء؛ فالأخير أعم؛ لأنه متضمن للقراءة . بيد أن القراءة أعم من حيث إنها تكون في الإقراء وخارجه .

(١) انظر التحرير والتنوير ٩/ ١٦٧٢ .

المبحث الثاني
آيات التلاوة وفقهها

تجاوز عدد الآيات المشتملة على لفظ التلاوة أو مشتقاته الستين آية، منها الآيات الأربع التي سبق تناولها في الفصل الأول، وكانت – أيضا – إضافة إلى التلاوة – مشتملة على التعليم والتزكية من وظائف مقرئ القرآن .

وأما بقية الآيات،فكانت مشتملة على لفظ التلاوة أو مشتقاته، وجاءت منوعة في موضوعاتها. أستعرضها على النحو التالي:

النوع الأول من آيات التلاوة:

وموضوعه: التنويه بتلاوة القرآن وعظيم نفعها للتالي والمستمع.

فهي وظيفة الرسل في الدعوة إلى الله، كما سيأتي، وهي – أيضا – ركن من أركان تعليم القرآن وإقرائه؛ فإذا لم تكن معظمة لدى الداعية والمصلح والمعلم والمتعلم لم تؤت نتائجها المرجوة .

وهي تسع آيات:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا** ﴾ الأحزاب: ٣٤ .

جاءت هذه الآية ضمن الآيات التي وعظ الله بهن أمهات المؤمنين، وختمها بها؛ مبينا عظم آيات القرآن وكثرة بركاتها .

قال الإمام الطبري في تفسيرها: " يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد ﷺ: واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه" [١] .

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٩ .

وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ ﴾ لفظ جامع، يشمل التذكر بمعنى تعلم آيات القرآن وحفظها وتدبرها والعمل بها، كما يشمل تذكرها كنعمة من أجل النعم التي امتن الله بها على عباده؛ لأن هذه التلاوة صارت سببا في الثبات على دين الله والعصمة من الزلل[١].

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحًا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴾ الطلاق: ١١ .

فإن الله تعالى لما بين في الآيتين السابقتين ما حل بالأمم المكذبة لرسله بقوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابًا نُّكۡرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴾ الطلاق: ٨ -٩ ، امتن الله على عباده في الآيتين بعدهما؛ بأن شرفهم بإنزال أعظم كتبه إليهم على قلب أفضل رسله. وحصر وظيفته الدعوية التي بعث من أجلها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور في تلاوة القرآن على الناس؛ تنويها بهذه التلاوة، وتعظيما لأثرها. بل جعلها سببا في تحقيق الإيمان وتحصيل العمل. والآية تشير - أيضا - إلى أن تعظيم تلاوة القرآن والاحتفاء بها هو دليل التقوى، وهو من أعظم أسباب النجاة من العذاب .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٠١ .

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٣٨٤، وتفسير السعدي ص ٦٦٤، والتحرير والتنوير ١٨/٢٢ .

وهنا عظَّم الله تلاوة آيات القرآن على المؤمنين، مشيرا إلى عظم بركتها لمن أقبل عليها وأنصت لها وتدبرها، وأنها حصن وعاصم من الوقوع في طاعة الكفار والافتتان بهم.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ البينة: ٢ .

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى في أول السورة: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ البينة: ١ .

أي: لم يكن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين من سائر أصناف الأمم – منكفين عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ الواضحة، والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة بقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وقوله: ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام [(١)].

فنوه بالقرآن وتلاوته، واعتبرها حجة على أهل الكتاب والمشركين .

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ الصافات: ٣ .

وهم الملائكة الذين يتلون كلام اللهّ تعالى. وتنوين : ﴿ ذِكْرًا ﴾ للتفخيم ، وهو بمعنى المذكور المتلو[(٢)].

وهذا القسم دليل على تعظيم الله تعالى لتلاوة القرآن وعلو شأنها. والدلالة جاءت من وجهين، الأول: من حيث هو قسم، والثاني: من حيث نوع التالين للذكر، وهم الملائكة الذين شرفهم الله وأعلى منزلتهم .

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٩٣١ .

(٢) انظر روح المعاني للألوسي ٢٣/ ٦٥، وتفسير السعدي ص٧٠٠ .

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس: ٦١ .

فنصت الآية على أن أجل شأنه – ﷺ – ومعظمه هو تلاوة القرآن .

قال الألوسي : " والتلاوة أعظم شؤونه – ﷺ – ولذا خصت بالذكر "[(١)].

الآية السابعة:

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨ –٤٩ .

فدلت الآية الأولى على أن من أعظم دلائل صدق النبي – ﷺ – كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب، ثم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز يتلوه على قومه أحسن تلاوة .

ودلت الآية الثانية على أن من دلائل إعجاز القرآن أمرين:

الأول: أنه آيات بينات باهرات.

والثاني: أنه محفوظ في صدور العلماء؛ لأنهم يتلونه آناء الليل والنهار، ويتدارسونه بينهم، ويتبعون ما جاء فيه. وهذا يدل على عظم شأن تلاوة القرآن والمداومة عليها، وأنها من أعظم أسباب حفظ القرآن في الصدور .

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يونس: ١٦ .

وهذه الآية بمعنى الآية الأولى السابقة .

---

(١) روح المعاني ١١/ ١٤٣ . وانظر الكشاف ٢/ ٣٣٧ .

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥١ .

لما طلب المشركون - في الآية السابقة - من نبينا - ﷺ - أن يأتيهم بالآيات الدالة على صدقه، كالأمم السابقة قبلهم، فقالوا : ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ العنكبوت: ٥٠ ؛ أمره الله عز وجل بأن يجيبهم هنا بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ، أي: أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه أنا أنزلنا عليك -وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب- هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، تتلوه عليهم على الدوام، وتتحداهم به، فلا يزال معهم آية ثابتة، لا تضمحل، بخلاف سائر الآيات [1].

والمقصود أن هذه الآية قد نوهت بتلاوة الرسول - ﷺ - للقرآن على الكفار، وأنها وسيلة عظيمة من أنجع وسائل الدعوة، وهي تكشف عن إعجاز القرآن الدائم المتجدد .

ويشير قوله : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى عظم أثر تلاوة آيات القرآن على التالي والمستمع لها.

يقول الطاهر بن عاشور : " وقد أشار قوله : ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ وما بعده إلى خمس مزايا للقرآن على غيره من المعجزات .

المزية الأولى: ما أشار إليه قوله: ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ من انتشار إعجازه، وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، بحيث لا يختص بإدْراك إعجازه فريق خاص في زمن خاص، شأن المعجزات المشهودة، مثل عصا موسى، وناقة صالح، وبرء الأكمة، فهو يتلى، ومن ضمن تلاوته الآيات التي تحدّت الناس

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٩، وتفسير البيضاوي ٤/ ٣٢٠ .

بمعارضته، وسجلت عليهم عجزهم عن المعارضة من قَبل محاولتهم إياها، فكان كما قال، فهو معجزة باقية، والمعجزات الأخرى معجزات زائلة .

المزية الثانية : كونه مما يُتلى، فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أحوالاً مرئية؛ لأن إدراك المتلوّ إدراك عقلي فكري، وهو أعلى من المدركات الحسية، فكانت معجزةُ القرآن أليق بما يستقبل من عصور العلم التي تهيأت إليها الإنسانية .

المزية الثالثة : ما أشار إليه قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً ﴾ ؛ فإنها واردة مورد التعليل؛ للتعجيب من عدم اكتفائهم بالكتاب، وفي التعليل تتميم لما اقتضاه التعبير بـ ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾وبـ ﴿ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ فالإشارة بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ؛ ليستحضر بصفاته كلها، وللتنويه به؛ بما تقتضيه الإشارة من التعظيم . وتنكير "**رحمة**"؛ للتعظيم ، أي لا يقدّر قدرها. فالكتاب المتلو مشتمل على ما هو رحمة لهم اشتمال الظرف على المظروف؛ لأنه يشتمل على إقامة الشريعة، وهي رحمة وصلاح للناس في دنياهم؛ فالقرآن مع كونه معجزة دالّة على صدق الرسول – ﷺ – ومرشدة إلى تصديقه، –مثل غيره من المعجزات – وهو – أيضا – وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم، وبذلك فضَل غيره من المعجزات، التي لا تفيد إلا تصديق الرسول الآتي بها .

المزية الرابعة: ما أشار إليه قوله: ﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ ؛ فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر وتعريف بعواقب الأعمال، وإعدادٍ إلى الحياة الثانية، ونحو ذلك مما هو تذكير؛ بما في تذكره خيرُ الدارين، وبذلك فضَل غيره من المعجزات الصامتة، التي لا تفيد أزيد من كون الآتية على يديه صادقاً.

المزية الخامسة : أن كون القرآن كتاباً متلواً مستطاعاً إدراك خصائصه لكل عربي، ولكل من حذق العربية من غير العرب مثل أئمة العربية؛ يبعده عن مشابهة نفثات السحرة والطلاسم، فلا يستطيع طاعن أن يزعم أنه تخيلات، كما قال قوم فرعون لموسى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ الزخرف: ٤٩" اهـ[1] .

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ١٥ .

النوع الثاني من آيات التلاوة:

وموضوعه: التلاوة وسيلة رئيسة من وسائل الدعوة والتعليم والتربية.

يتناول هذا النوع بمجمله موضوع تلاوة القرآن باعتباره وسيلة من أهم وأنجع وسائل الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته للعالمين، كما أنه أسلوب فاعل في تربية وتعليم المؤمنين.

بل إن الله عز وجل جعله الوظيفة الوحيدة لرسله؛ حجة على الظالمين .

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ القصص: ٥٩ .

وقال عزوجل: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الزمر: ٧١ .

وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٦ .

وقال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٥ .

ويؤكد ذلك كثرة الآيات التي نصت على أن وظيفة الرسول في دعوة الكفار هي تلاوة القرآن عليهم، وقد قارب عددها الثلاثين آية، أو يزيد .

وهذا النوع وثيق الصلة بمقرئ القرآن، وسبق الحديث عنه عند تناول الآية الأولى من الآيات الأربع، في الفصل السابق، وأن الغرض من التلاوة لا يقتصر على التعليم، بل يتعداه إلى التربية والتزكية، وهي الثمرة المرجوة من التعليم .

وسأتناول في هذا النوع من آيات التلاوة أربع آيات رئيسة، وأشير إلى بقيتها .

الآية الأولى:

هي قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩١– ٩٢ .

فصرحت هاتان الآيتان بأن ما أمر به النبي - ﷺ - من قبل ربه محصور في ثلاثة أمور: عبادة الله وحده، والاستسلام لحكمه، والثالث تلاوة القرآن على الناس، فحصر وظيفة البلاغ والإنذار بتلاوة القرآن، قال ابن كثير:" وقوله: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي على الناس، أبلغهم إياه، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران: ٥٨ ، وكقوله تعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾ القصص: ٣ الآية، أي: أنا مبلغ ومنذر" [١].

والآية الثانية :

هي قول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعد: ٣٠ .

قال الإمام ابن جرير :"﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يقول: لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم من وحيي الذي أوحيته إليك" [٢].

ودلت لام التعليل هنا أن الغرض من الإرسال هو دعوة الناس وإرشادهم، وأن المعجزة التي يطلبها الكفار هي في هذا القرآن الذي يتلى عليهم.

قال ابن عاشور: "وتضمن لام التعليل في قوله: ﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ﴾ أن الإرسال لأجل الإرشاد والهداية بما أمر الله، لا لأجل الانتصاب لخوارق العادات. والتلاوة : القراءة، فالمقصود لتقرأ عليهم القرآن، كقوله: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ النمل: ٩٢ الآية، وفيه إيماء إلى أن القرآن هو معجزته؛ لأنه ذكره في مقابلة إرسال الرسل الأولين، ومقابلة قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ ﴾ الرعد: ٢٧. وقد جاء ذلك صريحا في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ العنكبوت: ٥١ " [٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ١٥٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٢٤٥ .

والآية الثالثة:

هي قول الله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ الكهف: ٢٧ .

والأمر بالتلاوة في الآية يعني قراءة القرآن وتبليغه للناس كما ذهب إليه ابن كثير [١] .ويعني – أيضا – اتباع القرآن والعمل بما جاء به كما ذهب إليه ابن جرير[٢]. قال البغوي: "قوله عز وجل: ﴿ وَٱتۡلُ ﴾ أي: واقرأ يا محمد، ﴿ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ يعني القرآن، واتبع ما فيه " [٣].فالأمر بالتلاوة شامل للقراءة والاتباع .

والآية الرابعة:

هي قول الله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

والتلاوة المأمور بها في هذه الآية ليست قراءة مجردة، بل المراد التقرب إلى الله بالمداومة على قراءة القرآن وحفظه وتدبره واتباع أحكامه وهداياته.

قال البيضاوي: "﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾: تقربا إلى الله تعالى بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه؛ فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه" [٤].

وقال أبو السعود:" أمره عليه السلام بالمداومة على دراسته، فقال : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ " [٥].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٨١ .
(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٢٣٣ .
(٣) تفسير البغوي ٣/ ١٥٨ .
(٤) تفسير البيضاوي ٤/ ٣١٨ .
(٥) تفسير أبي السعود ٥/ ٢١٨ .

ويقول السعدي عند تفسيره لهذه الآية : "ومعنى تلاوته: اتباعه بامتثال ما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصارت تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب علم أن إقامة الدين كلها داخلة في تلاوة الكتاب فيكون قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لفضل الصلاة وشرفها وآثارها الجميلة" [١] .

فقوله: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ في هذه الآية كسابقتها، معناه اقرأ القرآن واتبع ما فيه من أحكام .

وإذا كانت الآيات الأربع السابقة تناولت الأمر بتلاوة القرآن من حيث العموم، فقد جاءت آيات أخرى بالأمر بتلاوة بعض القرآن، وهذا البعض على الأغلب يتناول قصة من قصص القرآن، مسوقة لأغراض دعوية وتعليمية وتربوية:

منها قول الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥١ .

قال القرطبي: " هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله" [٢] .

ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ يونس: ٧١ .

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٣٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ١٣١ .

ومن الأغراض الدعوية لتلاوة قصة نوح على الكفار: إثبات نبوته – ﷺ – حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب، ومنها موعظة قومه وتخويفهم بذكر خبر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بسبب التكذيب، ومن الأغراض التربوية والتعليمية: تحريض النبي – ﷺ – هو وأصحابه على الصبر والثبات (١).

ومنها قول الله تعالى﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ الشعراء: ٦٩ – ٨٩ .

وتضمنت هذه القصة جملة من المقاصد التعليمية والتربوية والدعوية النافعة للتالي والمستمع .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:" هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء أَمَرَ الله تعالى رسولَه محمدا – ﷺ – أن يتلوه على أمته؛ ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله" (٢).

ومنها قوله تعالى في قصة ابني آدم : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: ٢٧ .

وقوله في قصة من لم ينتفع بعلمه: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٥ .

وقوله في قصة ذي القرنين: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ الكهف: ٨٣ .

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٨ .

وقوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ القصص: ٤٥ .

ومن الآيات الدالة على هذا النوع – أيضا – تلك الآيات الخاصة بالنوع الخامس من آيات التلاوة، والتي تناولت حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن، كما سيأتي في موضعه .

النوع الثالث من آيات التلاوة:

وموضوعه: منهج المؤمنين في تلاوة القرآن: أنهم يجمعون بين العلم والعمل؛ بإقامة حروف القرآن وحدوده.

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ١٢١ .

جاء في تفسيرها [١]، عن ابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهم – وغير واحد من المفسرين أن معنى قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: أي يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله.

وفي لفظ قال : يتبعونه حق اتباعه .

ومن طريق أخرى قال ابن عباس : ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: يتبعونه حق اتباعه .

وأخرج الخطيب عن مالك بسند فيه مجاهيل عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – ﷺ – في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ ، قال: (يتبعونه حق اتباعه). وأورده ابن كثير وعقب على علة إسناده، فقال: " إلا أن معناه صحيح " [٢].

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢١٨، وتفسير ابن كثير ١/ ١٦٤ ، والدر المنثور ١/ ٢٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٦٥ .

ورغم أن الآية قد جاءت ثناء على المؤمنين من أهل الكتاب الذين يتلون القرآن، فهم ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ ؛ فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم، وهم المؤمنون حقا، لا من قال منهم: ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ البقرة: ٩١ [١].

رغم ذلك، إلا أن مقصودها الأعظم هو **الدلالة على أن منهج المؤمنين في تلاوة القرآن، هو أنهم يتلونه حق تلاوته، وهو برهان ساطع على صدق إيمانهم؛ فهم قد تخلقوا بالقرآن جملة وتفصيلا، كما سيأتي بيانه في المبحث القادم .**

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩ .

هذه الآية هي آية القراء العاملين العالمين، كما تقدم [٢]. وهي تؤكد منهج المؤمنين في تلاوة القرآن، وتزيد في بيانه بالإشارة إلى أن من يتلو القرآن حق تلاوته لابد وأن تظهر فيه ثلاث صفات كبار دالة على صدقه في تلاوة الكتاب حق تلاوته، وهي :

إقامة الصلاة، وبها تقوم صلة العباد بربهم، وبها صلاح القلب والجوارح، وهي العبادة البدنية التي لا حظ في الإسلام لمن ضيعها .

الإنفاق في جميع الوجوه والأحوال، وبه تقوم صلة العباد فيما بينهم وتصلح، وهو برهان الإيمان. وأدنى درجات الإنفاق إيتاء الزكاة التي هي حق المال، وهي العبادة المالية التي عاقب الله تاركها بإيقاع النفاق في قلوبهم، ومن أجلها قاتل أبو بكر المرتدين .

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٦٥.

(٢) انظر ص ١٢ .

حسن القصد، وهو دليل على صدق التوحيد وكماله، ومدار قبول العمل منوط بتحقيقه .

قال الإمام السعدي : " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون – أيضا – ألفاظه بدراسته، ومعانيه بتتبعها واستخراجها.

ثم خص من التلاوة بعد ما عم الصلاة التي هي عماد الدين، ونور المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات، ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ، في جميع الأوقات .

﴿ يَرْجُونَ ﴾ بذلك ﴿ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: لن تكسد وتفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئا " [١].

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤ .

وهذه الآية تأكيد – أيضا – لمنهج المؤمنين في تلاوة القرآن، لكنها تشير – أيضا – إلى أهمية القدوة في التأثير في المدعوين والمتعلمين لكتاب الله .

قال ابن جريج في تفسيرها : " أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، وَيَدَعُونَ العملَ بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة" [٢].

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٨٩.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٥٨.

"والآية، وإن كانت نزلت في سب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف: ٢ – ٣، وليس في الآية أن من لم يقم بما أمر به أنه يسوغ له ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر؛ فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة" [1].

ويدل على خطورة هذا الخلل في منهج تلاوة القرآن حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : (**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**) متفق عليه [2].

ويدل عليه – أيضا – حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : (**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ**) قَالَ : (**قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**) رواه الإمام أحمد [3].

---

(١) منقول من تفسير السعدي ص ٥١، باختصار قليل وتصرف.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١١٩١ – كتاب بدء الخلق – باب صفة النار وأنها مخلوقة – حديث رقم ٣٠٩٤ ، وصحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٠ – كتاب الزهد والرقائق – باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله – حديث ٢٩٨٩ . ومعنى تندلق أقتابه أي تخرج أمعاؤه .

(٣) المسند ٣/ ٢٣٩ – حديث رقم ١٣٥٣٩، من طريق علي بن زيد جدعان، وأخرجه الضياء في المختارة ٦/ ١٦٠ من طريق آخر، وقال : إسناده صحيح، كما صحح إسناده الألباني في الصحيحة، حديث رقم ٢٩١ .

ومعنى قوله : ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي تدرسونه وتقرؤونه، كما قال ابن عباس [١] . فتلاوتهم للكتاب ناقصة؛ مقصورة على تتبع حروفه ومعانيه، دون إقامة حدوده واتباع ما يأمر به وينهى عنه .

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ البقرة: ١١٣ .

تحكي هذه الآية ما بين اليهود والنصارى من تجهيل وتضليل عظيمين؛ فكل فرقة تزعم أن الأخرى ليست على شيء من الحق البتة، مع أنهم جميعا أهل كتاب يتلونه، وهم على علم ودراية به؛ فقالت اليهود للنصارى : ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة [٢] .

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ يشير إلى أن الأميين من مشركي العرب وغيرهم قد قالوا مقالتهم، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١ [٣] .

والجملة تشير – أيضا وهو مقصودنا من الآية – إلى جهل اليهود والنصارى مع أنهم يتلون الكتاب ويتدارسونه، لكن لما كان علمهم مجردا عن الإيمان والعمل؛ لم ينتفعوا بما علموه من التوراة والإنجيل؛ فنفى عنهم العلم [٤] .

ولهذا وصف الله تعالى أهل القنوت والعبادة بأنهم هم أهل العلم؛ لما عملوا بما علموا، فقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٩ .

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٥٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ١/ ٤٩٥، وتفسير البغوي ١/ ١٠٦ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ١/ ٦٧٧.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٥٦.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران: ١١٣ .

روى العَوْفِيّ عن ابن عباس - وهو قول جمهور المفسرين - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سَلام وأَسَد بن عُبَيْد وثعلبة بن سَعْية وأَسَيد بن سعْية وغيرهم، أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أي: قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه، كما قال الربيع بن أنس وقتادة، واختاره الطبري[1].

وقوله: ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾: حال أو صفة لـ ﴿ أُمَّةٌ ﴾[2]، أي: يقومون الليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم، بخضوع وخشوع وتدبر[3].

والتعبير عن الصلاة بالسجود؛ لأنه أدل على كمال الخضوع، وهو سر التعبير به عنها في قوله - ﷺ - لمن طلب أن يدعو له بأن يكون رفيقه في الجنة: (**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**)[4][5].

وإيثار الجملة الاسمية؛ للدلالة على المداومة والاستمرار على هذه التلاوة. واختيار صيغة المضارع في قوله: ﴿ يَتْلُونَ ﴾، وقوله: ﴿ يَسْجُدُونَ ﴾؛ للدلالة على التجدد[6].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٤/ ٥٣، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٨، وتفسير السعدي ص ١٤٣ .

(٢) انظر التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء ١/ ٢٨٦، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣٧ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٤/ ٥٤، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٥٣ - كتاب الصلاة - باب فضل السجود والحث عليه - حديث رقم ٤٨٩ من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه .

(٥) انظر روح المعاني للأوسي ٤/ ٣٤ .

(٦) انظر تفسير أبي السعود ٢/ ٧٣، وروح المعاني ٤/ ٣٤ .

وإذا كانوا يقومون بكتاب الله، ويتلونه في صلاة الليل، وهي نافلة، في هذا الوقت الذي يشق على النفوس العمل فيه؛ فلا ريب أنهم سيكونون في بقية الأوقات لفريضة الصلاة ولسائر الفرائض أقوم وأحرص .

فهذه الصفة الدالة على إقامة القرآن واتباعه تبرهن على صدق هذه الأمة من أهل الكتاب في قيامها بكتاب الله تعالى .

ويؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : **(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ)** [(١)].

قال ابن حجر: " والمراد بالقيام به : العمل به مطلقا، أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها، ومن تعليمه، والحكم والفتوى بمقتضاه . ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي: **(رَجُل آتَاهُ اللهُ الْقُرْآن فَهُوَ يَقُوم بِهِ آنَاء اللَّيْل وَآنَاء النَّهَار وَيَتَّبِع مَا فِيهِ)** [(٢)]" اهـ[(٣)].

ثم ذكر في الآية التالية [**آل عمران : ١١٤**] أربع صفات لتلك الأمة القائمة بكتاب الله، وهي صفات جامعة، وكأنها ثمرة لهذا القيام، وترجمة، وبرهان له [(٤)]:

الصفة الأولى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾.

والإيمان بالله يوجب لهم الإيمان بكل أركانه، وعلى وجه الخصوص الإيمان بجميع كتب الله ورسله، الذي ينازع فيه أهل الكتاب، وإنما خص الإيمان

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٩ – كتاب فضائل القرآن- باب اغتباط صاحب القرآن – حديث رقم ٤٧٣٧، وصحيح مسلم ١/ ٥٥٨ – كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه – حديث رقم ٨١٥ .

(٢) المسند ٤/ ١٠٤ – حديث رقم ١٧٠٠٧ .

(٣) فتح الباري ١/ ١٦٧، باختصار .

(٤) انظر نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٢ .

باليوم الآخر بالذكر؛ لأنه يستلزم الحذر من المعاصي، وهؤلاء اليهود ينكرون أنبياء الله، ولا يحترزون عن معاصي الله ، فلم يحصل لهم الإيمان بالمبدأ والمعاد [1] .

الصفة الثانية : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .

وهذه الصفة الجامعة تشتمل على صفتين متلازمتين، تكمل إحداهما الأخرى، ولا تنفك عنها .

فحصل منهم بهذه الصفة تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد – ﷺ – وبما جاء به [2] .

وبهاتين الصفتين – الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – تكون هذه الأمة من أهل الكتاب قد نالت الخيرية التي تميزت بها أمة محمد – ﷺ – على سائر الأمم، كما قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ آل عمران: ١١٠ .

الصفة الثالثة : ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ .

وهي تدل على هممهم العالية، وأنهم يستكثرون من الطاعات، ويبادرون إليها؛ خوف الفوت بالموت، محبين لها، غير متثاقلين لها، عارفين بفوائدها، موقنين بحسن عوائدها [3] .

وهذه الصفة تدل على أنهم من السابقين المقربين، كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ فاطر: ٣٢، وقال عز شأنه : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ الواقعة: ١٠ – ١١ .

---

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ٨/ ١٦٦، وتفسير أبي السعود ٢/ ٧٣، وتفسير السعدي ص ١٤٣ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٤/ ٥٥، وتفسير السعدي ص ١٤٣ .

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٨/ ١٦٦ ، وتفسير السعدي ص ١٤٣، والتحرير والتنوير ٤/ .

الصفة الرابعة : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

وهذه الصفة بمثابة النتيجة للصفات السابقة .

يقول الطاهر بن عاشور : " وموقع اسم الإشارة التنبيه على أنّهم استحقوا الوصف المذكور بعد اسم الإشارة بسبب ما سبق اسمّ الإشارة من الأوصاف " اهـ .

ووصفهم بالصالحين يدل على غاية المدح .

يقول الفخر الرازي : " واعلم أن الوصف بذلك – يعني الصلاح – غاية المدح، ويدل عليه القرآن، والمعقول .

أما القرآن: فهو أن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فقال بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وغيرهم: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٦ . وذكر حكاية عن سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ النمل: ١٩ . وقال : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ التحريم: ٤ .

وأما المعقول : فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون؛ فقد حصل الصلاح؛ فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات " اهـ [1] .

النوع الرابع من آيات التلاوة

وموضوعه : حال المؤمنين عندما يتلى عليهم القرآن

وقد جاءت في أربعة مواضع من القرآن :

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢ .

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٦٦ .

والشاهد من الآية هو قوله: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾.

وقد بين الإمام السعدي وجه هذه الزيادة بأنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه – أي التدبر – لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكروا ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو يحدث فيها وجلا من العقوبات وازدجارا عن المعاصي. وكل هذا مما يزداد به الإيمان [1].

وهذه الزيادة في الإيمان إنما تتحقق للمؤمنين، المتلمسين لأسباب رحمة الله؛ فتراهم عندما يتلى عليهم كلام الله معظمين له، مستمعين، منصتين، ذلك؛ لأنهم يحملون قلوبا توجل عند ذكر الله، كما وصفهم في الجملة الأولى، ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

وذكرُ الله يكون: بذكر الله بأسمائه وصفاته وعظمته، وبذكر عقابه وسطوته، وبذكر ثوابه ورحمته.

واستحضار جلال الله وشدة بأسه وسعة ثوابه يحمل المؤمن على الاستكثار من الخير وتوقي ما لا يرضي الله تعالى، ويدفعه إلى ملاحظة الوقوف عند حدود الله في أمره ونهيه [2].

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ مريم: ٥٨.

هذه الآية الكريمة تبين لنا جانبا آخر من حال المؤمنين عندما يتلى عليهم كلام الرحمن، ممثلا بخيار خلق الله، وهم الأنبياء، الذين خصهم الله بإنعامه

---

(١) تفسير السعدي ص ٣١٥.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٩/ ٢٥٦.

وكراماته، ورفع منزلتهم وأعلى شأنهم في الدارين؛ فكانوا كما قال جل وعلا : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾. أي أن حالهم عندما تتلى عليهم آيات الرحمن ويستمعون لكلام الله المتضمن لصفاته وحججه ودلائله وبراهينه خشعوا له، وأثّر في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة؛ ما أوجب لهم السجود لربهم، والبكاء، والإنابة؛ استكانة، وخضوعا، وحمدًا، وشكرًا، على ما هم فيه من النعم العظيمة [١].

أخرج البيهقي في الشعب بسنده أن عمر – رضي الله عنه – قرأ سورة مريم فلما قرأ آية السجدة سجد ، ثم قال : « هذا السجود فأين البكاء ؟ » [٢].

الموضع الثالث:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩ .

إذا كانت الآية السابقة في بيان حال الأنبياء عندما تتلى عليهم آيات الرحمن؛ فهذه الآيات في حال ورثتهم من العلماء .

وهي امتداد للآيات التي سبقتها، والتي كان حديثها عن القرآن . وقد أجمل الطبري تفسيرها، مبينا صلتها بما قبلها، فقال : " يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الإسراء: ٩٠ : آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو لا تؤمنوا به؛ فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله، ولا ترككم الإيمان به يُنقص ذلك، وإن تكفروا به؛ فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٨، وتفسير السعدي ص ٤٩٦ .

(٢) شعب الإيمان ٥/ ٦٩ – حديث رقم ١٩٩٩ .

الكتابين إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون – تعظيما له وتكريما، وعلما منهم بأنه من عند الله – لأذقانهم [(١)]؛ سجدا بالأرض" اهـ [(٢)].

لكن الصلة المباشرة هي في آيتين سبقت هذه الآيات، وهما قوله تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٥ –١٠٦.

وهاتان الآيتان كالمقدمة لقوله : ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا...﴾ الآيات .

فقد وُصف القرآن في الآية الأولى بصفتين عظيمتين، كل واحدة منهما تحتوي على ثناء عظيم، وتنبيه للتدبر فيهما، الأولى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ ، فالذي أنزل القرآن هو الله تعالى؛ لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم . والصفة الثانية : ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: بالحفظ من كل شيطان رجيم، مشتملا على الصدق والعدل، الذي به قوام صلاح الناس، وفوزهم في الدنيا والآخرة [(٣)].

وامتدح الله في الآية الثانية كتابه؛ لكونه مقروءا، منزلا على مهل؛ تسهيلا لفهمه وإتقانه [(٤)].

فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه؛ فقل لمن كذب به، وأعرض عنه: ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ ؛ فليس لله حاجة فيكم، ولستم بضاريه شيئًا، وإنما ضرر ذلك عليكم؛ فإن لله عبادًا غيركم، آتاهم الله العلم النافع والعمل الصالح؛ فحالهم مع القرآن عندما يتلى عليهم حميدة، يعظمون الله بأفعالهم وأقوالهم ؛ فهم ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ؛ خاضعين له، متأثرين به غاية التأثر . بل وينزهون الله تعالى،

---

(١) الأذقان جمع ذقن، بفتح الذال والقاف، وهو مجمع اللحيين من الوجه، وبه فسره الحس البصري . وذكر الذقن هنا؛ للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض؛ من قوة الرغبة في السجود؛ لما فيه من استحضار الخضوع لله تعالى . انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٨٠، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٣٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٨٠.

(٣) انظر تفسير السعدي ص٤٨٦، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٢٩.

(٤) سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في موضعها من المبحث الرابع .

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون، ومن ذلك زعمهم بأن لا بعث ولا حساب، ولذا أعلن المؤمنون بيقين: ﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا ﴾ بالبعث والجزاء بالأعمال ﴿ لَمَفْعُولًا ﴾ ، لا خلف فيه، ولا شك. بل ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ ؛ تذللا وإخباتا لله عز وجل، وإيمانًا، وتصديقًا بكتابه ورسوله، ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ الله؛ بتعظيمهم القرآن، وسجودهم له، وبكائهم - ﴿ خُشُوعًا ﴾ ، وإيمانا وتسليما، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ محمد: ١٧ [(١)].

الموضع الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٣ .

جاءت هاتان الآيتان ضمن عدد من الآيات المتعلقة بموقف العلماء العارفين من أهل الكتاب؛ فموضوعها شبيه بموضوع الآيات السالفة في الموضع الثالث .

قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي - ﷺ - قرأ عليهم: ﴿ يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ يس: ١ -٢ حتى ختمها؛ فجعلوا يبكون، وأسلموا، ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٢ - ٥٣ [(٢)].

وذكر البغوي أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه [(٣)].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩، وفتح البيان لصديق حسن القنوجي ٧/ ٤٦٧، وتفسير السعدي ص ٤٦٨ .

(٢) نقلا عن تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٤ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٤٤٩ .

وظاهر قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ يدل على أنها في المؤمنين من أهل الكتاب .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ قال: يعني من آمن بمحمد - ﷺ - من أهل الكتاب.

وعن مجاهد قال: قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ القصص: ٥٢ - ٥٥ في مسلمة أهل الكتاب .

وعن قتادة : قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، قال : كنا نُحدَّث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا - ﷺ - فآمنوا به، وصدّقوا به؛ فأعطاهم الله أجرهم مرتين؛ بصبرهم على الكتاب الأوّل، واتباعهم محمدًا - ﷺ - وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام [(١)] .

والمقصود أن القرآن قد وصف حال هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب - عندما يتلى عليها القرآن - بقوله : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ .

يقول السعدي : " يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق، ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ استمعوا له وأذعنوا و ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ ؛ لموافقته ما جاءت به الرسل، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة، والأوامر والنواهي الموافقة، لغاية الحكمة .

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم؛ لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة؛ لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم

---

(١) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٢٠/ ٨٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨٨، والدر المنثور ٦/ ٤٢٢ .

ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة؛ لأنهم ما بين جاهل فيه، أو متجاهل معاند للحق .

قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ الآيات " اهـ [1].

وقوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ ، أي : موحدين، مخلصين لله، مستجيبين له [2].

وهذا يدل على سلامة قلوبهم من الأمراض التي تحول بينها وبين الإيمان، وأعظمها الكبر، كما سيأتي عند الحديث عن أحوال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن .

وخلاصة القول : قد دلت الآيات السابقة في المواضع الأربعة على أن حال المؤمنين عندما تتلى عليهم آيات القرآن هي :

- أنهم معظمون للقرآن، فإذا قرئ عليهم ألقوا له أسماعهم، وأنصتوا، وأحضروا قلوبهم؛ لتدبر آياته، والفقه فيها، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ الفرقان: ٧٣ .

أي أنهم عقلوا عن الله، وانتفعوا بما سمعوا من كتابه، كما قال قتادة [3].

فهم ليسوا كالمنافقين الذين يخرون رياء، وهم في الحقيقة صم عمي عن فقه القرآن [4].

وما فعل المؤمنون ذلك إلا طلبا لرحمة الله التي وعد بها المستمعين المنصتين لكتابه، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ .

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٢٠، باختصار .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٤ .

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٠، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٠ .

(٤) انظر الكشاف ٣/ ٣٠١ .

- أن هذا الاستماع والإنصات يورثهم خشوعا وخضوعا وتذللا لله تعالى في قلوبهم؛ فهم لشدة تأثرهم يخرون للأذقان سجدا وبكيا. وهو طرف من الرحمة الموعود بها.

- أن من الرحمة - أيضا - ما يحصل في القلوب من زيادة في الإيمان والإيقان . وفي ذلك تقوية وتربية للقلوب على العبودية لله تعالى. وفيه إصلاح وتطهير لها من أدران الشهوات والشبهات .

- أن ذلك يؤدي إلى سلامة القلب واستقامته على عبودية الله تعالى، وذلك بسببين: أحدهما استقرار محبة الله في قلبه؛ فلا يقدم محبوبات نفسه على محبوبات مولاه . والثاني : كمال الذل لله تعالى المصحوب بكمال التعظيم للرب جل جلاله، وعلامة ذلك : تعظيمه لأوامر الله واتباعها، وتعظيمه لنواهيه واجتنابها . وبهذا يستقيم القلب والجوارح، وتنقاد لحكم الله ورسوله [1].

- أن أسعد الناس بالقرآن، وأشدهم تعظيما لآيات الله هم الأنبياء، ثم ورثتهم من العلماء العاملين، الذين يتلون القرآن حق تلاوته، ويخشعون لسماعه، فمن رام الكمال في الإيمان والانتفاع بآيات القرآن؛ فليطلبه في طريقة هؤلاء، الذين أنعم الله عليهم، وهداهم، واجتباهم .

النوع الخامس من آيات التلاوة:

وموضوعه : حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن .

وحيث بينت الآيات في النوع السابق حال المؤمنين عندما يتلى عليهم القرآن؛ يحسن أن أتبعها بالآيات التي بينت حال الكافرين عندما يتلى عليهم، كما هي عادة القرآن، في ذكره لأحوال المؤمنين، مقرونا بأحوال الكافرين .

وقد بلغت الآيات التي تناولت حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن ثلاث عشرة آية، ودلت بمجموعها على أن الوصف المجمل لحالهم هو : الاستكبار والإعراض والتكذيب .

---

(١) انظر الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٤ .

والناظر في هذه الآيات يجد أنها – أيضا – قد بينت تفاصيل حالهم تجاه ما يتلى عليهم من القرآن على أحسن وجه .

ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : دلت على استكبارهم وإعراضهم عن القرآن، وسعيهم الشديد لصد الناس عن سماعه .

والثانية : دلت على تكذيبهم للقرآن عندما تتلى عليهم آياته. وقد تنوعت صور هذا التكذيب، كما سيأتي عند استعراض الآيات .

والثالثة : دلت وكشفت عما في نفوسهم من كره شديد لآيات القرآن وأهله المؤمنين به .

أما المجموعة الأولى فتضم ست آيات :

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٦.

وقال بعدها : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٧ .

فهي وصف لحالهم عند نكوصهم وإعراضهم عن آيات القرآن . أي أنهم قد أعرضوا حال كونهم مستكبرين، سامرين بالهجر من القول .

فقوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ حال من قوله : ﴿ تَنكِصُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ سَٰمِرًا ﴾: مفرد، بمعنى الجمع، وهو حال – أيضا– والسامر المتحدث في ظلمة الليل، أو في ضوء القمر، وقوله : ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ صفة لـ ﴿ سَٰمِرًا ﴾ ، يجوز أن تكون من الهجر بفتح الهاء، وهو الهذيان ، أي تهذون في شأن القرآن ، ويجوز أن يكون من الهجر بالضم ، وهو الفاحش من الكلام [1] .

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني ٣/ ٥٧٦، والتحرير والتنوير ١٨/ ٨٦ .

والضمير في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ عائد إما إلى البيت؛ لأنهم يفتخرون به، ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا كذلك . أو إلى الحرم؛ لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر – يعني القبيح – من الكلام .

وإما إلى القرآن؛ باعتبار أنه المقصود بهذا الهجر، كقولهم : إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة؛ لأن قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يشير إلى القرآن .

وإما إلى محمد – ﷺ – لأنهم كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون، وتكون ﴿ بِهِۦ ﴾ على هذا القول للتعدية، وضمن قوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ معنى مكذبين، أي مكذبين بالنبي ومستكبرين [1] .

والحاصل أن الآيتين دلتا على أن هؤلاء الكفار قد جمعوا بين الإعراض والاستكبار والاستهزاء بالقرآن في أحاديث سمرهم .

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لقمان: ٧ .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الجاثية: ٨ .

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾الجاثية:٣١.

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٩٦، والمحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ١٥٠، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٠، والتحرير والتنوير ١٨/ ٨٦ .

فدلت هذه الآيات الثلاث على إعراض الكفار عن سماع آيات القرآن واستهزائهم بها، كما قال تعالى بعد آية الجاثية : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ الجاثية: ٩ ، وكما قال عز وجل : ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ الكهف: ٥٦ .

ولذا كانوا يتواصون فيما بينهم على عدم سماع القرآن، كما قال عز شأنه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦ [١] .

ودلت هذه الآية على أنهم لم يكتفوا بالإعراض عن سماع القرآن، بل سعوا إلى صرف العامة – أيضا – عن سماعه؛ بالتشويش واللغو فيه عندما يتلى عليهم .

وقد نصت الآيات الأربع السابقة على أن الذي حملهم على الإعراض عن القرآن هو الكبر الذي استولى على قلوبهم؛ فطمسها، وحال دون قبولها للحق .

أما المجموعة الثانية فتضم سبع آيات :

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٥ .

وهذا التكذيب الذي نصت عليه الآية هنا هو ديدن الكفار عندما تتلى عليهم آيات القرآن . وقد جاء على صور متعددة، كما تفصله بقية الآيات .

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القلم: ١٥ .

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال: ٣١ .

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٥٥٤ .

فهذه الآية والتي قبلها دلتا على أن من صور تكذيب الكفار للقرآن عندما يتلى عليهم قولهم – بهتانا وزورا – بأنه أساطير الأولين، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ الفرقان: ٥ .

يقول السعدي : " وهذا القول منهم فيه عدة عظائم :

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.

ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله بأنه كذب وافتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وقد زعموا ذلك" [1] .

وقولهم في آية الأنفال عند سماعهم للقرآن :﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ من أقبح الكذب، وبطلانه ظاهر، وهو دليل على عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم الله أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم بعشر سور، أو بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا من دون الله، فلم يقدروا على ذلك، وانقطعوا، وتبين عجزهم، وهم أحوج ما يكونون للمعارضة، وما حملهم على هذا القول الباطل إلا عنادهم وعتوهم وإصرارهم على الكفر والصد عن سبيل الله والقرآن .

(١) تفسير السعدي ص ٥٧٨ .

روى سعيد بن جبير، والسدي، وابن جُرَيج، وغيرهم أن القائل لذلك هو النضر بن الحارث، كان قد ذهب إلى بلاد فارس، وتعلم من أخبار ملوكهم رُسْتم واسفنديار، ولما قدم وجد رسول الله - ﷺ - قد بعثه الله، وهو يتلو على الناس القرآن، فكان إذا قام - ﷺ - من مجلس، جلس فيه النضر؛ فيحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: بالله أيهما أحسن قصصا؟ أنا أو محمد؟ [(١)].

"فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع،وقد علم أنه - ﷺ - أُمِّيٌّ، لا يقرأ، ولا يكتب، ولا رحل؛ ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد" [(٢)].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأحقاف: ٧ .

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سبأ: ٤٣ .

فمن صور تكذيبهم للقرآن عندما يتلى عليهم وصفهم له بأنه سحر مبين .

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الجاثية: ٢٥ .

(١) انظر تفسير الطبري ٩/ ٢٣١، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٠٥.

(٢) تفسير السعدي ص ٣٢٠ .

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس: ١٥ .

ودلت هذه الآية والتي قبلها على صورة أخرى من صور تكذيبهم، وهي المجادلة بالباطل .

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم: ٧٣ .

ومن صور تكذيبهم التلبيس على العامة، بشبه ظاهرة البطلان، كما جاء في هذه الآية .

فهم حين تتلى عليهم آيات الله، ظاهرة الدلالة، بينة الحجة، واضحة البرهان؛ يعرضون عنها، ويموهون على الدهماء من الناس بشبه ساقطة؛ لصرفهم عن الحق الذي سطعت به آيات القرآن؛ فإنهم يقولون عن الذين آمنوا، مفتخرين عليهم، ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل - بأنهم أكثر أموالا وأولادا، وأن ناديهم أعمر وأكثر واردًا وطارقًا، وأنه دليل على أنهم على الحق، والمسلمون على الباطل؛ لأنهم فقراء، أراذل، مختفون، مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور.

وهذا دليل في غاية الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثرة الأموال والأولاد، وحسن المنظر والوجاهة في الدنيا، كثيرا ما يكون سببا لهلاك صاحبه، وشقائه، ولهذا قال تعالى رادًّا عليهم شبهتهم بقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ مريم: ٧٤ أي: أن الله أمضى فيهم سنته، فأهلكهم، وقد كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتعة ومناظر وأشكالا[(١)] .

---

(١) انظر في تفسير هذه الآية تفسير ابن كثير ٥/ ٢٥٧، وتفسير السعدي ص ٤٩٩ .

أما المجموعة الثالثة الدالة على بغض الكفار للقرآن، وشدة حنقهم على من يتلو آياته؛ فهي آية واحدة .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الحج: ٧٢ .

أي أنهم من شدة بغضهم للقرآن يلوح على وجوههم الغَيْظ والغضب عندما تُتلى عليهم آياته. وهذا كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثرُه بواطنهم، فظهر على وجوههم، حتى إنهم ليكادون أن يبسطوا إلى المؤمنين أيديهم وألسنتهم بالسوء[١] .

والسطو: شدة البطش والوثوب، كما يقول الخليل وغيره[٢] .

ومما يدل على معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥ .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٥، والتحرير والتنوير ١٧/ ٣٣٤ . وتنطبق هذه الآية أيضا على من شابه الكفار في مجافاة الكتاب والسنة من أهل الأهواء والبدع، يقول الإمام الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية: "وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز، أو من السنة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والضلالة؛ رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين، وقد رأينا وسمعنا من أهل البدع ما لا يحيط به الوصف، والله ناصر الحقّ ومظهر الدين وداحض الباطل ودامغ البدع وحافظ المتكلمين بما أخذه عليهم، المبينين للناس ما نزل إليهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل" اهـ . فتح القدير ٣/ ٤٦٨ .

(٢) العين ص ٤٢٦، وانظر تفسير الرازي ٢٣/ ٥٩ .

المبحث الثالث
التخلق بالقرآن

تقدم القول بأن معظم الآيات التي تناولت إقراء القرآن جاءت بلفظ التلاوة أو مشتقاته، وهو أمر لافت، يدعو إلى البحث والنظر في أسرار هذه الكلمة .

إن التلاوة لفظ معجز يتضمن معنيين عظيمين متلازمين، أشرت لهما في مبحث سابق عند تناول الأصل اللغوي لهذه الكلمة [١].

المعنى الأول: تلاوة القرآن بمعنى اتباعه، وهذا هو الأصل في هذا الحرف، فأتلو القرآن أو الوحي أي أتبع توجيهاته وإرشاداته وأعمل بمقتضى أحكامه .

المعنى الثاني: تلاوة القرآن بمعنى قراءته سواء كان مكتوبا أو محفوظا، وهي تعني إعادة الكلام دون زيادة عليه ولا نقص منه؛ لأن معنى التتبع متأصل في هذه الكلمة، ففعل (يتلو) أو (يتلى) أو (اتل) ونحوها مؤذن بأن المقروء كلام لا تبدل ألفاظه، وهو الوحي المنزل [٢]. فالنبي – ﷺ – يقرأ ما أوحي إليه قراءة مطابقة بهيئتها وكيفيتها وصفة أدائها لما سمعه من جبريل عليه السلام .

وأما التلازم فظاهر مما تقدم، فتلاوة القرآن تعني قراءته واتباعه، أي إقامته بإقامة حروفه وحدوده .

ولهذا مدح الله من يتلون الكتاب حق تلاوته، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ١٢١ أي يتبعونه حق اتباعه كما تقدم في تفسيرها [٣].

---

(١) انظر ص ٤٥ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٧٩ .

(٣) انظر ص .

وعاب الله على أهل الكتاب اقتصارهم في تناولهم للكتاب على القراءة فحسب دون الاتباع، فقال: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ البقرة: ٧٨، والأماني هي القراءة على قول الأكثرين في تفسير الآية [١]، وهو الأرجح، ويدل عليه آية الحج: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الحج: ٥٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التمني هو التلاوة والقرآن كما عليه المفسرون من السلف كما في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [٢]. ومراده بالقرآن القراءة .

إن أولى الناس بتلاوة القرآن حق تلاوته هو مقرئ القرآن، وله في رسول الله أعظم قدوة وأسوة . وإذا كانت خلاصة جهد معلم القرآن وثمرة بذله وسعيه هي إيجاد حملة للقرآن يحملونه بأفئدتهم وألسنتهم ويظهر أثره جليا في أخلاقهم وصفاتهم وسلوكهم؛ فإن هذا لا يتحقق إلا إذا كان المعلم في نفسه مثالا كاملا لحامل القرآن، متخلقا به في جميع أحواله .

وهاهو المعلم الأول الذي امتن الله به على هذه الأمة يحقق ما بعث من أجله، فيصنع جيلا فريدا متخلقا بالقرآن مستمسكا بحبله المتين،كما دلت عليه الآيات الأربع التي مضى الحديث عنها، والتي اشتملت على الأهداف الرئيسة لمعلم القرآن،ومنها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤، فأصبحوا بعد بعثته - ﷺ - وتربيته لهم وتزكيته بالقرآن في هداية تامة .

---

(١) انظر تفسير الرازي ٣/ ١٢٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٩٠ ، وانظر ١٦/ ١٢ من هذا المجموع .

والسر الأكبر في نجاحه - ﷺ - في صناعة ذلك الجيل أنه كان هو في نفسه متخلقا بالقرآن، متمثلا به في جميع صفاته وأحواله.

لقد أوجز القرآن مهمته - ﷺ - التي كلف بها في ثلاثة أمور، فقال عز وجل على لسان نبيه: ﴿ **إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ** ﴾ النمل:٩١- ٩٢.

فصرحت هاتان الآيتان بأن ما أمر به النبي - ﷺ - من قبل ربه محصور في ثلاثة أمور: عبادة الله وحده، والاستسلام لحكمه، والثالث تلاوة القرآن.

والتلاوة هنا تعني تلاوة القرآن على الناس ودعوتهم إلى الخضوع لأحكامه والاستجابة لهداياته.

وتعني أيضا -وهذا هو الشاهد- اتباع القرآن والتخلق به [(١)].

وقد فعل ﷺ ذلك على أكمل وجه، ولذا مدحه الله تعالى، وعظم شأنه بقوله عز وجل: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم: ٤ ، وسبب هذا أنه اجتمع فيه - ﷺ - ما تفرق في غيره من الفضائل؛ لأنه استجاب لأمر الله تعالى له بقوله: ﴿ **أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ** ﴾ الأنعام: ٩٠ ، ولا بد لكل نبي من خصلة فاضلة، فاجتمع له - ﷺ - جميع خصال الفضل عند جميع الأنبياء [(٢)].

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي عنها عن خلقه صلى الله عليه وسم، أجابت بأن خلقه القرآن، واستشهدت بآية سورة القلم .

عن سعد بن هشام بن عامر قال: قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله - ﷺ - قالت: (**ألست تقرأ القرآن ؟**) قلت: بلى، قالت: (**فإن خلق نبي الله - ﷺ - كان القرآن**) رواه مسلم [(٣)].

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ٤/ ٢٨١ ، وتفسير النسفي ٣/ ٢٢٥ ، وفتح القدير ٤/ ١٥٦ .

(٢) انظر تفسير الرازي ٣٠/ ٧١ ، وأضواء البيان ٨/ ٢٥٢ .

(٣) صحيح مسلم ١/ ٥١٢ – باب جامع صلاة الليل – حديث رقم ٧٤٦ .

ورواه الإمام أحمد بلفظ: أتيت عائشة رضي الله عنها، فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله - ﷺ - قالت: (**كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾**)[١]. ومعنى الآية: أي وإنك لعلى دين عظيم، كما يقول ابن عباس وسعيد ابن جبير وغير واحد [٢]. وتفسير الخلق بالدين مطابق لقول عائشة رضي الله عنه: (**كان خلقه القرآن**) ؛ لأن القرآن هو أصل الدين ومادته، والخضوع للقرآن خضوع للدين وكذلك العكس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا هكذا قال مجاهد وغيره، وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**كان خلقه القرآن**) ، وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر" اهـ [٣].

ويؤيد هذا المعنى زيادة في رواية أبي عبيد والبيهقي لحديث عائشة، فقد أخرجا عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله - ﷺ - فقالت : (**كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه**) [٤] .

ويشير حرف الجر "على" في قوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ إلى تمكنه - ﷺ - في تخلقه بالقرآن العظيم وبلوغه الغاية في مكارم الأخلاق[٥].

يقول ابن كثير معلقا على تفسير عائشة لهذه الآية:" ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه، وترك

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦/ ٩١ – حديث رقم ٢٤٦٤٥ ، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح .
(٢) انظر تفسير الطبري ٢٩/ ١٨، والدر المنثور ٨/ ٢٤٣ .
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٥٨ .
(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٥١، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٢٤٦ - حديث رقم ٢٥٦ .
(٥) انظر التحرير والتنوير ٢٩/ ٤٥١٥ .

طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل" اهـ [(١)].

إن التخلق بالقرآن صفة عظيمة الأثر كثيرة الفوائد، فحقيق بمعلم القرآن أن يتخلق بها وأن يسعى جهده إلى بلوغ مراقي الكمال فيها، وإن من أعظم الثمار التي سيجنيها معلم القرآن إذا تلبس بهذه الصفة ثمرتين:

الأولى: أنه بتخلقه بالقرآن سيكون قدوة حسنة لطلابه، ودعوة صامتة لهم؛ ليكونوا من أهل هذه الصفة . وسيغرس بسمته القرآني في قلوبهم محبة القرآن وتعظيمه والانقياد لأحكامه؛ لما يشاهدونه في معلمهم من تبجيل وتوقير للقرآن واستمساك بأوامره وتوجيهاته .

الثانية: الدين شطران، عبادة وخلق، والعبادة هي حسن العلاقة بالخالق، والخُلُق حسن العلاقة بالخلْق، وهذا المعنى قد دل عليه الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ النساء: ٣٦ ، وقوله: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ** ﴾ النساء: ١ ، وقوله: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ الأنفال: ١ ، وقوله - ﷺ - لأبي ذر: (**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**) رواه الترمذي [(٢)].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه -قال: قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل قال: (**إيمان بالله تعالى وجهاد في سبيله**)، قلت: يا رسول الله فأي الرقاب أفضل قال: (**أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنا**) قال: فإن لم أجد قال: (**تعين صانعا أو تصنع**

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٣ .

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٥ - باب ما جاء في معاشرة الناس - حديث رقم ١٩٨٧ . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني .

لأخرق) قال: فإن لم أستطع قال: (**كف أذاك عن الناس فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك**) رواه الإمام أحمد[١]. وعن عبد الله بن سلام عن رسول الله - ﷺ - قال: (**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**) رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي حديث حسن صحيح [٢].

ولا عجب أن يتبوأ حسن الخلق هذه المنزلة من الدين، فقد قال ﷺ: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) رواه البيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة[٣]. فجعل إتمام مكارم الأخلاق غاية بعثته؛ تعظيما لها، وتنويها بشأنها.

وعن النواس بن سمعان الأنصاري - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ - عن البر والإثم، فقال: (**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**) رواه مسلم[٤]. فجعل الدين هو حسن الخلق .

قال ابن القيم :" فقابل البر بالإثم وأخبر أن البر حسن الخلق والإثم حواز الصدور، وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله" اهـ [٥].

وبعد هذا الاستطراد في ذكر النصوص الدالة على مكانة مكارم الأخلاق من الدين، فحريٌّ بمقرئ القرآن أن يتسنم منها ذروتها وأن يصطبغ قلبا وقالبا بصبغتها؛ كي يقطف كل حين ثمرتها.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ١٥٠ – حديث رقم ٢١٣٦٩ . قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٦٥٢ – باب ٤٢ –حديث رقم ٢٤٨٥ ، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٠٨٣ – باب إطعام الطعام – حديث رقم ٣٢٥١ . قال الألباني: صحيح، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٥٠ – حديث رقم ٦١٦ .

(٣) السنن الكبرى ١٠/ ١٩١– باب بيان مكارم الأخلاق – حديث رقم ٢٠٥٧١، والمستدرك ٢/ ٦٧٠ – حديث رقم ٤٢٢١ ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم .

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٠ – بابن تفسير البر والإثم – حديث رقم ٢٥٥٣ .

(٥) مدارج السالكين ٢/ ٣٠٦ .

ومن أظهر هذه المكارم: الرفق بالطلاب، والتواضع لهم، وإظهار محبتهم، والبشاشة في وجوههم، والبذل من أجلهم، وتفقد أحوالهم، والصبر على تعليمهم، وكف الأذى عنهم .

وبهذه الصفات الجليلة والأخلاق الجميلة يستطيع مقرئ القرآن أن يقيم جسرا متينا بينه وبين طلابه يعتمد على الثقة والمحبة والرحمة والاحترام .

وبهذه الأخلاق النبوية والمناقب السوية يستولي مقرئ القرآن على قلوب تلاميذه، ويأسرها طائعة رضية، ويرتقي بها بيسر وسهولة إلى أخلاق الكبار ومناقب الأبرار، فترى هؤلاء الطلاب معظمين لمعلمهم، محبين له، ساعين في توقيره وإكرامه، مصغين لنصحه وإرشاده، مستجيبين لوعظه وتوجيهاته.

وهذا الأثر يمتد إلى كتاب الله، فتراهم محبين للقرآن، معظمين له، باذلين كرائم أوقاتهم لحفظه وتعلمه، مغتبطين لفهمه ومدارسته، مسابقين لامتثاله والتخلق به .

المبحث الرابع
آيات القراءة وفقهها

والمراد بها تلك الآيات التي اشتملت على فعل أو مصدر ونحوه من مشتقات القراءة.

وقد جاءت في ثمانية مواضع من القرآن:

الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥ – ٤٦ .

والمعنى: وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا. وللمفسرين في المراد بالحجاب المستور قولان [١]:

الأول: ذهب إليه قتادة وابن زيد، وهو أن المراد بالحجاب المستور هو الأكنة على قلوبهم، وقوله: مستورا بمعنى ساتر، فهو مفعول بمعنى فاعل .

الثاني: قال زهير بن محمد [٢]:"﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ذاك رسول الله – ﷺ – إذا قرأ القرآن على المشركين بمكة سمعوا صوته ولا يرونه" . ومعنى مستورا على ظاهره، أي مستورا عن الأبصار، فلا تراه، واختاره الطبري والقرطبي [٣]. ويؤيد هذا القول من القرآن قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٩٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٤ .

(٢) هو زهير بن محمد بن قُمير المروزي، ثقة ثبت زاهد، من شيوخ ابن ماجه والبزار، ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٠ .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٩٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٧٠ . قال صاحب الدر المنثور ٥/ ٢٩٥: " وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – قالت: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد:١ أقبلت العوراء أم جميل، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول: مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، ورسول الله – ﷺ – جالس وأبو بكر – رضي الله عنه – إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥ ، فجاءت حتى قامت على=

﴿ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٧ ، وقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ الجاثية: ٢٣، فالغشاوة في الآيتين هي الحجاب المستور المذكور في الإسراء .

والدرس المستفاد من هذه الآية أن قراءة القرآن طاردة لشياطين الإنس والجن عاصمة من أذاهم .

قال النووي في كتابه الأذكار : "باب ما يقول إذا عرض له شيطان أو خافه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ، فينبغي أن يتعوذ، ثم يقرأ من القرآن ما تيسر" اهـ [(١)].

وأسعد الناس بهذه الآية وأوفرهم حظا منها هم حفظة القرآن وحملته، المكثرون من قراءته وترتيله، وفي مقدمة هؤلاء معلمو القرآن المنهمكون في إقرائه وتلاوته .

الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٨ – ١٩٩ .

جاءت هاتان الآيتان في سياق الحديث عن القرآن وتمجيده؛ لما تميز به من الصفات المعجزة والمفاخر العظيمة [(٢)]. ومع ذلك قابله الكفار بأشد الجحود والتكذيب، لذا عاقبهم الله بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الشعراء:

= أبي بكر رضي الله عنه، فلم تر النبي – ﷺ – فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر رضي الله عنه، لا ورب هذا البيت ما هجاك، فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها" .

، قال القرطبي معلقا على هذه القصة ونحوها: " ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني هربت أمام العدو، وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان، وأنا في فضاء من الأرض، قاعد، ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا علي، ثم رجعا من حيث جاءا، وأحدهما يقول للآخر: هذا ديبله، يعنون شيطانا، وأعمى الله عز وجل أبصارهم، فلم يروني، والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك "اهـ .

(١) الأذكار ١/ ٩٩ .

(٢) انظر ص ١٠ .

٢٠٠ ، فأدخل التكذيب وسلكه في قلوبهم، فأصبح سجية لهم وهيئة راسخة ملازمة لهم، مهما جاءهم من الآيات، فلو نزل هذا القرآن ﴿عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴾: جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح بالعربية، أو لا يتكلم، سواء كان إنسانا أو بهيمة - فلو نزل القرآن كما هو بنظمه الرائق المعجز على من لا يتكلم، فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة ما كانوا به مؤمنين، مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء؛ لفرط عنادهم، وشدة شكيمتهم في المكابرة، وهذا هو الأرجح في تفسير هذه الآيات، ويأتلف مع سياقها، ويدل عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الحجر: ١٤ - ١٥ ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ يونس: ٩٦ - ٩٧ ، وغيرها من الآيات، واختاره الطبري،وابن عطية وابن كثير، وغير واحد، ويؤيده ما أخرجه الطبري بسنده عن عبد الله بن مطيع [(١)]: أنه كان واقفا بعرفة، فقرأ هذه الآية: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم ﴾ ، وقال: جملي هذا أعجم، فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين[(٢)].

وإذا كان الكفار قد بلغوا هذا المبلغ في تكذيبهم القرآن والكفر به حتى صار سجية من سجاياهم، فمفهوم الآيات يدل على أن المؤمنين على النقيض من ذلك، فهم على كل حال أهل إخبات وخضوع وخشوع عند سماعهم القرآن، كما قال تعالى: في وصف المؤمنين الكُمَّل: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ الأنفال:٢، فمحبتهم للقرآن

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة العدوي، ولد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وله بئر على طريق مكة تعرف ببئر ابن مطيع ، قاتل الحجاج مع ابن الزبير في مكة وقتل معه . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٤٤ ، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٨٠ .

(٢) انظر في تفسير هذه الآيات تفسير الطبري ١٩/ ١١٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٩ ، والتسهيل لابن جزي ٣/ ٩٠ ، وتفسير أبي السعود ٦/ ٢٦٥ .

واستبشارهم به وإقبالهم على تلاوته وسماعه والتفقه فيه والعمل به صفات مكينة لا تفارقهم، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٤، فبين تعالى الحال الواقعة للمؤمنين بأنهم يزدادون إيمانا بعلمهم بهذه السورة من القرآن وفهمها واعتقادها والعمل بها، وهم على الدوام يسرون بسماع القرآن وتلاوته وحفظه، ويبشر بعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته والتوفيق لفهمها والعمل بها، وهو دليل على انشراح صدورهم لآيات الله وطمأنينة قلوبهم وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه [(١)].

ولذا يتعين على مقرئ القرآن أن يلتزم منهج القرآن في تعليم القرآن، فيربي في طلابه محبة القرآن، وتعظيمه، والأنس بتلاوته وسماعه، ويؤصِّل فيهم صفات الراسخين في الإيمان التي من أهمها الخشوع عند تلاوته وسماعه وتدبر آياته وفهمها والعمل بمقتضاها .

الموضع الثالث:

قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء:١٠٦ .

هذه الآية عطف على الآية السابقة، وهي قوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ الإسراء: ١٠٥ ، فالحديث في الآيتين عن القرآن والإشادة به .

وقوله: **"قرآنا"** منصوب على الحال من الضمير المنصوب في قوله: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ [(٢)]، والنكتة في تقديم الحال على صاحبه التنويه بكونه قرآنا، أي كونه كتابا مقروءا؛ فإن اسم القرآن مشتق من القراءة، وهي التلاوة؛ إشارة إلى أنه من

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٣٥٦ .

(٢) ذهب أكثر النحاة إلى أن " قرآنا " منصوب بفعل مقدر أي وفرقنا قرآنا فرقناه، وقيل فيه وجوه أخرى لا تخلو من تكلف، وقد رجحت قول ابن عاشور؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير، وهو متسق مع سياق الآيات .

جنس الكلام الذي يحفظ ويتلى، ولما كان أصل القراءة هو الظهور والبروز- كما تقدم [١]- أفاد هذا الحرف - أيضا - أن القرآن علاوة على أنه حق ومشتمل على الحق فهو ميسر للقراءة ودلالاته على هذا الحق واضحة ظاهرة [٢].

وعامة القراء قرؤوا قوله: ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ بالتخفيف أي : بيناه، وأوضحناه، وفرقنا فيه بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدخان: ٤ ، وقرأ بعض الصحابة ﴿ فَرَّقْناه ﴾ بالتشديد، أي أنزلناه مفرقاً شيئا بعد شيء بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، ويدل على هذا قوله: ﴿ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [٣].

والذي يظهر أن قراءة العامة تدل - أيضا - على التفريق ؛ لأن أصل "فرق" في اللغة هو التمييز بين شيئين، ومن هذا الباب الفِرق في قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الشعراء: ٦٣، ومنه الفرق من الغنم، أي القطيع، والفريق الجماعة المتفرقة عن آخرين [٤].

وعليه فيكون معنى ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾: جعلناه فِرَقا أي أنزلناه منجما مفرقا غير مجتمع، وأيضا - جعلناه بينا واضحا مفصلا، وإطلاق الفرق على البيان؛ لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة المشتبهة. ولما كان قوله: **"قرآنا"** حالا من ضمير ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ آل المعنى إلى : أنا فرقناه وأقرأناه [٥].

وقوله: ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ مشتمل على علتين، الأولى: ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ، وتلك علة لجعله قرآنا، والثانية: ﴿ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ أي أن يقرأ على مهل وتؤدة وتثبت، وهي علة لتفريقه.

---

(١) انظر ص .

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٠٨ .

(٣) انظر المحتسب لابن جني ٢/ ٦٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٩ ، وأضواء البيان ٣/ ١٨٨ .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٩٣ ، ومفردات الراغب ص ٣٧٧ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٠٨ .

والحكمة في ذلك أن تكون ألفاظه ومعانيه أوضح وأثبت في نفوس السامعين، لذا فسر ابن عباس ومجاهد وابن جريج المكث بأنه الترسل في التلاوة والترتيل، فيعطي القارئ القراءة حقها، ويحسنها ويطيبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان، وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ أي شيئا بعد شيء – جملة مؤكدة لما قبلها، دالة على التفريق المذكور، ومما يدل على معنى الآية قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: ٤ ، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ الفرقان: ٣٢ [١].

وهكذا ترسم هذه الآيات منهجا واضحا في قراءة القرآن وإقرائه يقوم على تحقيق الأغراض الأصيلة التي من أجلها نزل القرآن، وبها تتحقق العبودية، وهي قراءة القرآن بتؤدة، وترتيله، وتدبره، وفهمه، والعمل به .

الموضع الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨.

وهذه الاستعاذة أدب رفيع من آداب تعليم القرآن وتلاوته، وهي حرز من تسلط الشيطان، ومعينة على إتقان الحفظ، وصارفة للوساوس التي تحول بين القارئ والتدبر المثمر للتذكر والعمل، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ [٢].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٩، التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٠٨، وأضواء البيان ٣/ ١٨٨ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٦٢٦ .

الموضع الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ العلق: ١ - ٥ .

هذه الآيات الكريمات المباركات هي أول ما نزل من القرآن [١]. وهن أول رحمة رحم الله بها العباد بعد طول ضلالة.

وتضمنت هذه الآيات أهم أغراض السورة، وهو تلقين محمد - ﷺ - الكلام القرآني، وتلاوته؛ إذ كان لا يعرف التلاوة من قبل، وأشارت الآيات إلى أن الله سييسر له تعلم القرآن وحفظه وفهمه، وأن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم [٢].

سبب نزول هذه الآيات:

عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: (**أول ما بدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله - ﷺ - يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت**

(١) وهذا على القول الصحيح الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة، وعليه الجماهير من السلف والخلف. انظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٤١٧ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٩٩ ، وزاد المعاد ١/ ٨٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٩ ، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٦١.

خويلد - رضي الله عنها - فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) [1].

قال النووي: "غطني عصرني وضمني، وأما أرسلني فمعناه: أطلقني، قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الالتفات، والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له، وكرره ثلاثا؛ مبالغة في التنبيه، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه" انتهى باختصار [2].

وقوله ﷺ: **(ما أنا بقارئ)** اعتذار عن القراءة؛ لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

وقوله تعالى: ﴿ **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢** ﴾: أي اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك الذي رباك بنعمه، ومستعينا به على القراءة ؛ لكمال قدرته، فهو الخالق لكل شيء، فهو قادر على تلقينك القرآن كما أنزل – وقد فعل – رغم أنك أمي؛ ليكون حجة لك على قومك، وآية على صدقك، كما قال تعالى:

﴿ **وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ** ﴾ العنكبوت:٤٨ [3].

---

(١) وبقية الحديث: (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي) . صحيح البخاري ١/ ٤ – باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم ٣، وصحيح مسلم ١/ ١٣٩ – باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم ١٦٠ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٩٩ .

(٣) انظر أضواء البيان ٩/ ١٥ .

ولما كان الإنسان أشرف مخلوقاته، وهو المتلقي للقرآن العظيم خصه بالذكر؛ إشارة إلى العناية به، وتدبيره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وكان تمام هذه العناية ببعثة أشرف الأنبياء محمد - ﷺ - ونزول القرآن أشرف الكتب عليه [(١)].

والعلق جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم، تأتي بعد النطفة وقبل المضغة، والاقتصار على ذكرها هنا دون النطفة أو الطين؛ لأن المخاطبين كانوا يشاهدون ذلك أحياناً فيما تلقي به الرحم، ويعلمون أنه مبدأ خلق الإنسان [(٢)].

وفي قوله: ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ إشارة إلى ما ينطوي في أصل خلق الإنسان من بديع الأطوار والصفات التي جعلته سلطان هذا العالم الأرضي [(٣)].

وقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: ٣ – ٥: كرر الأمر بالقراءة تأنيسا لنبيه، كأنه يقول: امض لما أمرت به من تلقي القرآن وقراءته وحفظه وفهمه، فربك هو الأكرم، أي كثير الصفات، واسعها، منزه عن النقائص، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة أنواع العلوم تكرم، حيث قال: ﴿الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ، فدلَّ على كمال كرمه ، فإنه تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس، تنوب مناب خطابهم [(٤)].

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٧٨١ ، وتفسير البيضاوي ٥/ ٥٠٩ ، وتفسير السعدي ص ٩٣٠ .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٥٠٢ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦/ ٢٦٠ ، وأضواء البيان ٩/ ١٥ .

(٣) أفاده ابن عاشور في التحرير ٣٠/ ٤٨٦٣ .

(٤) انظر تفسير السمرقندي ٣/ ٥٧٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢ ، والكشاف ٤/ ٧٨١ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٠ ، وتفسير السعدي ص ٩٣٠ .

وتقديم الأمر بقراءة القرآن وتكراره دليل على شرف القرآن وقراءته، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الرحمن: ١ – ٣، فقدم التعليم على الخلق.

وفي الآيات إشارة إلى حفظ القرآن في الصدور والسطور .

أما الأول فلأن النبي – ﷺ – قد تلقى القرآن من جبريل مشافهة بالتلقين والتكرار، فحفظه ووعاه، فصار تلقي القرآن بهذه الطريقة سنة متبعة .

وأما الثاني فيشير إليه قوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ ، فدل على الاهتمام بعلم الكتابة، وبأن الله يريد أن يُكتب للنبي – ﷺ – ما ينزل عليه من القرآن، فمن أجل ذلك اتخذ النبي – ﷺ – كتابا للوحي من مبدأ بعثته [(١)].

ومما تقدم يتبين أن مدار هذه الآيات حول تعلم القرآن وإقرائه وتشريفه والإشادة به، **وأنها أصل في طريقة تلقين القرآن وتلقيه بطريق المشافهة، كما أنزل دون زيادة أو نقصان** [(٢)].

الموضع السادس:

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨ .

تتناول هذه الآية الصلوات الخمس المفروضة، والمراد بدلوك الشمس هو ميلها إلى الزوال. وغسق الليل هو ظهور ظلمته، فالآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فقوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ يتناول صلاة الظهر والعصر وقوله:

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٦٥ .

(٢) ومن اللطائف في هذه السورة أن الله أمر في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود، ولهذا كان أعظم الأذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الأفعال السجود لله وحده لا شريك له . انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٤٢٦ .

﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ يتناول المغرب والعشاء، وقوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ هو صلاة الصبح [١]. ومعنى قرآن الفجر، أي القرءاة في صلاة الفجر [٢].

أخرج الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (**تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر**) ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [٣].

وعطف قوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ على قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ؛ إشارة إلى أن لكل صلاة من تلك الصلوات قرآنا، وكذلك النافلة سماها قرآنا،كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ المزمل:٢٠ ، أي قوموا من الليل ما تيسر، وعبر بالصلاة عن القراءة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ١١٠، ﴿ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك [٤].

وإنما عبر عن صلاة الفجر بالقراءة دون غيرها من الصلوات ؛ لأنها جهرية، والقرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها؛ فإنها تصلى بسورتين طويلتين، كما

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٥ ، وتفسير السعدي ص ٤٦٤ . ويفسر هذه الآية الآيتان ١٧، ١٨ من سورة الروم، قال الشافعي: "ويقال في قول الله عز وجل: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ المغرب والعشاء ، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الصبح، ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا ﴾ العصر ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ الظهر " اهـ أحكام القرآن للشافعي ١/ ٥٧ . وقيل الدلوك يدل على أوقات الظهر والعصر والمغرب؛ لأنه يأتي بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسارها اليومي ، وهو وقت الظهر، ويرد بمعنى : ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر، ويرد بمعنى غروبها، وهو وقت المغرب، فصار لفظ الدلوك مشتركا في المعاني الثلاثة، والغسق : الظلمة، وهو وقت غيبوبة الشفق، وذلك وقت العشاء، ويسمى العتمة، أي الظلمة. انظر التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٨٩ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٥١ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٣٢ – باب فضل صلاة الفجر في جماعة – حديث رقم ٦٢١ ، وصحيح مسلم – باب فضل صلاة الجماعة.. – حديث رقم ٦٤٩ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٩ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٨٩ .

دلت عليه الأحاديث الصحيحة [١]. ولأنها تكون في وقت يتواطأ فيه السمع واللسان والقلب؛ لفراغه وعدم تمكن الاشتغال فيه، فيفهم القرآن ويتدبره [٢].

لقد عظم الله شأن القرآن الذي يتلى في الصلوات؛ الفريضة والنافلة، وأشاد بقراءة صلاة الفجر على وجه الخصوص، وأمر بها؛ ليبين أن ركن الصلاة ومقصودها الأعظم هو الذكر بقراءة القرآن والاستماع إليه وتدبره، لذا أجمع العلماء- كما يقول القرطبي - على أنه لا صلاة إلا بقراءة [٣]. وما ذاك إلا لأهمية الاستماع إلى قراءة القرآن وتدبر آياته والتفكر فيها، لذا أوجب الله الإنصات والاستماع إلى القرآن في الصلاة بقوله عز شأنه: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ الأعراف: ٢٠٤ . قال الإمام أحمد عن هذه الآية : " أجمع الناس على أنها نزلت في الصلاة " [٤].

ولما كانت القراءة في الصلاة بهذه المنزلة جعل الشارع الحكيم المتقن لها هو المقدم في الإمامة، فقال ﷺ: (**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما**) وفي رواية (**سنا**) مكان (**سلما**) [٥]. ومعنى أقرؤهم: أي أكثرهم حفظا للقرآن بدلالة حديث ابن عمر وحديث عمرو بن سلمة الآتيين، وقيل معناه أحسنهم قراءة [٦]. واللفظ محتمل للمعنيين، فالأولى أن يقال الأقرأ هو الذي جمع بين الحفظ وإتقان التلاوة .

---

(١) انظر صحيح البخاري ١/ ٢٦٦ – باب القراءة في الفجر ، وصحيح مسلم ١/ ٣٣٦ – باب القراءة في الصبح، وزاد المعاد ١/ ٢١٤ ، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٨٩ .

(٢) انظر التسهيل لابن جزي ٢/ ١٧٧ ، وزاد المعاد لابن القيم ١/ ٢١٦ .

(٣) تفسير القرطبي ١/ ١٢٣ ، وانظر أحكام القرآن للجصاص ٥/ ٣٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٢١٠ .

(٤) انظر المغني لابن قدامة ١/ ٣٣٠ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢/ ٢٩٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤٦٥ – باب من أحق بالإمامة- حديث رقم ٦٧٣ عن أبي مسعود الأنصاري .

(٦) انظر مرقاة المفاتيح للقاري ٣/ ١٧٣ .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة – موضع بقباء – قبل مقدم رسول الله – ﷺ – **كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنا**، رواه البخاري في صحيحه [١].

وعن عمرو بن سلمة في قصة إسلام قومه أن النبي – ﷺ – قال لهم:(**فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا**)، قال عمرو:فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، رواه البخاري [٢].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : (**إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم**) رواه مسلم [٣].

الموضع السابع:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ المزمل: ٢٠ .

تقدم الحديث عنها في الآية السابقة .

الموضع الثامن:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ .

وهذه الآية – أيضا – تقدم الحديث عنها قريبا . وهي أصل في السماع الذي يعد من أصول الإقراء [٤].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٤٦ – باب إمامة العبد والمولى – حديث رقم ٦٦٠ .

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥٦٤ – باب من شهد الفتح – حديث رقم ٤٠٥١ .

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٦٤ – باب من أحق بالإمامة – حديث رقم ٦٧٢ .

(٤) انظر ص .

الخاتمة

أحمد الله عز وجل على ما وفقني إليه في هذا البحث، وألخص ما توصلت إليه من نتائج في النقاط التالية :

- أن إقراء القرآن مصطلح معناه : أن يحمل الشيخ تلميذه على أن يقرأ عليه القرآن؛ ليسمع قراءته؛ ليقومها؛ فيجيزه عليها. وللفظ الإقراء في القرآن مرادفات تشترك معه في بعض المعاني، وأظهرها في هذا الترادف لفظ: علَّم ودرَّس . والقرآن مصدر كالقراءة – التي يعود أصلها إلى الظهور وإلى الجمع – يأتي بمعنى القراءة أحيانا، وغلب استعماله علَما على كتاب الله تعالى .
- نصت آيات الإقراء على ثلاث وظائف رئيسة لمقرئ القرآن؛ الأولى: التلاوة من خلال السماع والعرض، وهي أصل الإقراء في القرآن. والثانية: تعليمه طلابه الكتاب والحكمة. والثالثة: تزكية الطلاب وتربيتهم .
- نص القرآن على أن نجاح مقرئ القرآن في أداء رسالته مرهون بتحقيقه لصفة جامعة، هي صفة الربانية .
- التلاوة مصدر تلا، وأصلها راجع إلى تتبع الحروف والكلمات والجمل، وإتباع بعضها بعضا، وهي أعم من القراءة. وغلب استعمالها في القرآن دون القراءة؛ لما تضمنته من بلاغة ومعان كثيرة .
- جاءت موضوعات آيات التلاوة في القرآن منوعة، ويمكن تصنيفها إلى خمسة أنواع : الأول: نوه بتلاوة القرآن وبين عظيم نفعها للتالي والمستمع . والثاني : دل على أن التلاوة وسيلة رئيسة من وسائل الدعوة والتعليم والتربية. والثالث : بين أن منهج المؤمنين في تلاوة القرآن يتلخص في أنهم يقيمون حروفه وحدوده على حد سواء. والرابع: بين أن حال المؤمنين عندما يتلى عليهم القرآن هي التدبر لآياته والخشوع والخضوع لها. والخامس : بين أن

حال الكفار عندما يتلى عليهم القرآن هو الإعراض والاستكبار والاستهزاء والتكذيب .

- أن تلاوة القرآن حق تلاوته تعني التخلق بأخلاق القرآن، وهي صفة جامعة، يفتقر إليها مقرئ القرآن أشد الافتقار، وهي سر نجاحه، ولابد أن يربي تلاميذه عليها .
- جاءت آيات القراءة في ثمانية مواضع من القرآن، ولها دلالات كثيرة، أظهرها: أن قراءة القرآن طاردة لشياطين الإنس والجن، وأولى الناس بهذا الأثر هو مقرئ القرآن، وكذلك المثابر على تلاوته . ودلت - أيضا - على وجوب أن يربي مقرئ القرآن في طلابه محبة القرآن وتعظيمه والأنس والخشوع عند تلاوته وسماعه، وتدبر آياته وفهمها والعمل بمقتضاها. ودلت كذلك على فضل تعلم القرآن وإقرائه وتشريفه والإشادة به، وأن الأصل في طريقة تلقين القرآن وتلقيه هي المشافهة.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن**:لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار الفكر – لبنان.

٢- **الأحرف السبعة للقرآن**:لأبي عمرو الداني ، تحقيق د. عبد المهيمن طحان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة – مكة المكرمة.

٣- **أحكام القرآن**:لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان.

٤- **أحكام القرآن**:لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥- **أحكام القرآن**:لمحمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ،١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦- **إحياء علوم الدين**:لمحمد بن محمد الغزالي أبي حامد، دار المعرفة – بيروت.

٧- **أخلاق حملة القرآن** :لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د.عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة الدار– المدينة النبوية.

٨- **الأذكار**:للإمام يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة،١٤١٠هـ، دار الهدى– الرياض.

٩- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**:لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق مأمون شيحا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ، دار المعرفة – بيروت.

١١ -**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**:لمحمد الأمين محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت.

١٢ -**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**:لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٣ -**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**:لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، دار الفكر - بيروت.

١٤ -**بدائع الفوائد**:لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.

١٥ -**البرهان في علوم القرآن**:لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبي عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٩١هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٦ -**تاج العروس من جواهر القاموس**:لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٧ - **تاريخ المدينة المنورة**:لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨ -**التبيان في آداب حملة القرآن**:لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ، الوكالة العامة للتوزيع - دمشق.

١٩ -**التبيان في إعراب القرآن**:لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٠ -**التبيان في تفسير غريب القرآن**:لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق فتحي أنور الدابلوي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر.

٢١-**التسهيل لعلوم التنزيل**:لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي - لبنان.

٢٢-**تفسير البحر المحيط**:لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت.

٢٣-**تفسير التحرير والتنوير**:لمحمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر.

٢٤-**تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**:لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق د.محمود مطرجي، دار الفكر -بيروت.

٢٥-**تفسير القرآن العظيم**:لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، ١٤٠١هـ، دار الفكر - بيروت.

٢٦-**تفسير القرآن العظيم**:لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية - صيدا.

٢٧-**تفسير القرآن**:لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار الوطن - الرياض.

٢٨-**التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**:لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٩-**تفسير مجاهد**:لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية - بيروت.

٣٠-**تفسير مقاتل بن سليمان**:لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق أحمد فريد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت.

٣١-**تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**:لمحمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان.

٣٢-**تهذيب اللغة**:لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٣٣-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**:لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٤-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**:لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، ١٤٠٥هـ، دار الفكر – بيروت.

٣٥-**الجامع الصحيح سنن الترمذي**:لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦-**الجامع الصحيح**:لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.

٣٧-**جامع بيان العلم وفضله**:ليوسف بن عبد البر النمري، ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨-**الجامع لأحكام القرآن**:لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة.

٣٩-**خلق أفعال العباد**:لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ١٣٩٨هـ، دار المعارف السعودية – الرياض.

٤٠-**الدر المنثور**:لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣هـ، دار الفكر - بيروت.

٤١-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**:لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٤٢-**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**:لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ١٣٩٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٣-**زاد المسير في علم التفسير**:لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٤٤-**زاد المعاد في هدي خير العباد**:لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت.

٤٥-**سلسلة الأحاديث الصحيحة**:لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٤٦-**سنن ابن ماجه**:لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

٤٧-**سنن القراء ومناهج المجودين**: للدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، مكتبة الدار - المدينة المنورة.

٤٨-**السنن الكبرى**:لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٩-**صحيح الترغيب والترهيب**:للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٥٠-**صحيح الجامع الصغير**:لناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، المكتب الإسلامي.

٥١-**صحيح مسلم بشرح النووي**:لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٢-**صحيح مسلم**:لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٣-**الطبقات الكبرى**:لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، دار صادر - بيروت.

٥٤-**العلل الواردة في الأحاديث النبوية**:لعلي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبي الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار طيبة - الرياض.

٥٥-**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**:لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٦-**غريب الحديث**:لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبي سليمان، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ١٤٠٢هـ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

٥٧-**فتح البيان في مقاصد القرآن**: لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، ١٤١٢هـ، المكتبة العصرية- صيدا - بيروت.

٥٨-**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**:لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت .

٥٩-**الفريد في إعراب القرآن المجيد**: لحسين بن أبي العز الهمذاني، تحقيق الدكتور فهمي حسن النمر، والدكتور فؤاد علي مخيمر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الثقافة- الدوحة - قطر.

٦٠-**كتاب السبعة في القراءات**:لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، دار المعارف - مصر.

٦١-**كتاب العين**:لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي .

٦٢-**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**:لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٣-**الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**:لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت- لبنان.

٦٤-**لسان العرب**:لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت.

٦٥-**مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- قسم التفسير ومختصر زاد المعاد**، تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي، وصالح بن محمد الحسن، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطابع الرياض .

٦٦-**مجموع فتاوى ابن تيمية**: لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، مكتبة المعارف - الرباط - المغرب.

٦٧-**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**:لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية.

٦٨-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية - لبنان.

٦٩-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٧٠-**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق يوسف بديوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكلم الطيب - بيروت.

٧١-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق جمال عيتاني ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت.

٧٢-**المستدرك على الصحيحين**: لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٣-**مسند أبي داود الطيالسي**: لسليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.

٧٤-**مسند الإمام أحمد بن حنبل**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر.

٧٥-**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.

٧٦-**معالم التنزيل المشهور بتفسير البغوي**: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة - بيروت.

٧٧-**معاني القرآن الكريم**:لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
٧٨-**معاني القرآن وإعرابه**:لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق د.عبد الجليل شلبي، دار عالم الكتب.
٧٩-**معجم مقاييس اللغة**:لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل- بيروت.
٨٠-**المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الفكر - بيروت.
٨١-**المفردات في غريب القرآن**:لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان.
٨٢-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**:للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، المكتبة التجارية- مكة، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
٨٣-**النهاية في غريب الحديث والأثر**: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ ، المكتبة العلمية - بيروت
٨٤-**هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، ١٣٧٩ هـ، دار المعرفة - بيروت.
٨٥-**الوابل الصيب من الكلم الطيب**:لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٨٦-**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت.

٨٧-**الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عادل بن أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.